الأيزيديون وذاكرة السومريين

علو خلف الشرف

الأيزيديون وذاكرة السومريين

علو خلف الشرف

- اسم الكتاب: الأيزيديون وذاكرة السومريين
- اسم المؤلف: علو خلف الشرف
- الجنس الكتاب: تاريخي
- رقم الإيداع (D-\3041\26) مديرية المكتبات العامة في محافظة دهوك.
- الطبع الأولى: ٢٠٢٦
- تجهيز الكتاب: مكتبة آرينا

©جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المقدمة:

ليس هذا الكتاب محاولةً لاستعادة الماضي بوصفه زمنًا منتهيًا، ولا سردًا تاريخيًا تقليديًا يتتبع الأحداث وفق تسلسلٍ جامد، بل هو رحلة في الذاكرة الإنسانية العميقة، حيث يتقاطع الرمز مع الطقس، والفكرة مع الأرض، والزمن مع الإنسان. في وادي الرافدين، لم يكن التاريخ مجرّد تواريخ وسلالات حاكمة، بل كان نظام حياة، تتداخل فيه السماء مع الأرض، والشمس مع الخبز، والنار مع الدعاء، والزمن مع الفصول. هناك، وُلدت أولى الأسئلة الكبرى عن الوجود، وهناك حاول الإنسان للمرة الأولى أن يفهم موقعه في الكون لا بوصفه سيدًا عليه، بل جزءًا حيًا منه. هذا الكتاب ينطلق من قناعةٍ أساسية: أن كثيرًا مما نعدّه اليوم "تراثًا منقطعًا" لم ينقطع في الحقيقة، بل استمر متحوّلًا، محفوظًا في الذاكرة الشفوية، وفي الطقوس، وفي العادات اليومية البسيطة، وفي نظرة الإنسان إلى الشمس، وإلى النار، وإلى الخبز، وإلى الزمن. ومن هنا، يأتي الربط بين الحضارة السومرية والذاكرة الإيزيدية لا بوصفه ادّعاءً عاطفيًا أو انتماءً سياسيًا، بل قراءة معرفية–رمزية تحاول تتبّع استمرارية الأفكار عبر آلاف السنين، من الألواح الطينية إلى الموروث الشفهي، ومن المعابد الرافدينية إلى لالش، ومن تقاويم الفصول إلى الأعياد الإيزيدية. إن الإيزيدية، كما يتناولها هذا الكتاب، ليست "بقايا ديانة قديمة" ولا "ظاهرة مغلقة"، بل ذاكرة حيّة نجت من الانقطاعات

الكبرى، ومن الإبادات، ومن محاولات الطمس، واحتفظت بجوهر فلسفي عميق قائم على الخير، والتوازن، واحترام الطبيعة، وفهم الزمن بوصفه دورة لا صراعًا. لقد حاول هذا العمل أن يقرأ الرموز لا الأساطير فقط، وأن يفهم الطقوس لا مظاهرها وحدها، وأن ينصت لما تقوله الأشياء الصامتة: القباب، الألوان، النار، الطين، الخبز، الأعياد، واللغة. وهو، في جوهره، ليس موجّهًا للإيزيديين وحدهم، بل لكل من يسعى إلى فهم كيف يمكن للذاكرة أن تكون قوة بقاء، وكيف يمكن للإنسان أن يحمل حضارة كاملة في طقسه اليومي البسيط، وفي احترامه للأرض وللضوء وللزمن. هذا الكتاب دعوةٌ للتأمل، لا للحكم، وجسرٌ بين الماضي والحاضر، لا محاولة للعودة إلى الوراء، بل بحثٌ عن الجذور كي نفهم الطريق إلى الأمام.

إهداء

إلى روح جدّي، الذي علّمني قبل أن أعرف القراءة أن للخبز حرمة، وللنار روحًا، وللأرض ذاكرة لا تخون. إلى صوته الدافئ وهو يحكي لنا أن الشمس لا تغيب بل تعود، وأن الزمن لا ينكسر بل يدور. إلى شنگال، الأرض التي علّمت أبناءها أن الجبل أمان، وأن الصبر حكمة، وأن البقاء ليس صدفة بل معرفة متوارثة. إلى أجدادنا جميعًا الذين مرّوا من هنا، وحملوا الطين بقلوبهم، وحفظوا الخير في الطقس حين ضاع في الكلام. إلى الإيزيديين، حرّاس الذاكرة الحيّة، الذين بقوا لأنهم لم يفرّطوا بالنور، ولا بالأرض، ولا بالزمن. وإلى كل إنسان يؤمن أن الحضارة تعيش ما دامت محفوظة في الضمير، وفي احترام الأرض، الشمس والحكاية...

عن هذا الكتاب

هذا الكتاب هو رحلة تأملية في الذاكرة الحيّة للشعب الإيزيدي، حيث الجسد، الطقس، الزمن، واللغة تكشف الحكمة المختبئة بين العقل والروح، الفرد والجماعة. ليس سردًا جامدًا، ولا تاريخًا يقف عند الأحداث، بل دعوة لفهم المعنى الذي يُحيا في اللحظة، والبحث عن التوازن الروحي والجسدي في عالم سريع الزوال. كل فصل نافذة على رموز، ألوان، طقوس، وعناصر تعكس الذاكرة التي لا تساق بالقوة، والمعنى الذي لا يُفرض. الكتاب لا يقود، بل يترك القارئ أمام السؤال الأعمق: كيف نقرأ الماضي لنفهم الحاضر، ونحافظ على ذاكرتنا حيّة؟

عن المؤلف:

علو خلف شرف، باحث ومؤرخ، يستكشف رموز الزمن والطقوس واللغة، ليكشف ما وراء المعرفة المسجلة وما يحيا في ذاكرة الشعوب. أعماله دعوة للتأمل وفهم المعنى العميق للحياة، الجسد، والذاكرة.

حينما تهدء العاصفة سيتضح والرؤيا جيدا. ليس كل ما يتقدّم يستحق أن يُتبع، وليس كل من يُمسك الاتجاه يعرف وجهته الأخيرة. فالقوة قد تحسن الدفع، لكنها لا تجيد دائمًا الفهم. في الأزمنة التي يضيق فيها المسار، يمشي الإنسان مع الجماعة لا عن غفلة، بل عن إرهاق. إرهاق من السؤال، ومن الوقوف وحده، ومن محاولة حفظ

المعنى في عالم يفضّل السرعة على العمق. وهكذا تساق الذاكرة أحيانًا، لا لأنها فارغة، بل لأنها مُتعبة. غير أن المعنى الحقيقي لا يُساق. إنه لا يدخل من باب الصراع، ولا يحتاج إلى صوتٍ أعلى ليُثبت حضوره. يظهر حيث يجب أن يظهر: في الجسد حين يُعامل بوصفه أمانة لا أداة، وفي الطقس حين يُفهم بوصفه حكمة لا عادة، وفي اللغة حين تقال لتصون الخير لا لتستعرضه، وفي الزمن حين يُعاش كدورة حياة، لا كعدّ للانكسارات. ما كُتب هنا لم يُكتب ليقود أحدًا، ولا ليحلّ محلّ روايةٍ برواية، ولا ليُمسك طريقًا بيدٍ أقوى. كُتب ليكون شاهدًا على أن الذاكرة الحيّة لا تحتاج من يجرّها، بل من يضعها في موضعها الصحيح ويتركها تتنفس. فما يبقى، بعد أن يهدأ الغبار، ليس أثر القوّة، ولا صدى الصوت، بل أثر المعنى حين يكون صادقًا مع الإنسان ومع نفسه. وحين يتّسع الطريق، وحين يخفّ السحب، سيكتشف القارئ (دون أن يُقال له) أن ما كان حاضرًا بهدوء كان منذ البداية هو البوصلة.

الزمن الدلنري
The Circular Time
النار
Fire
الهواء
Air
النظام الكوني المقصود
The Intended Cosmic Order
التحول
Transformation
الروح - الفكر
Spirit - Mind
الإنسان الكائن المداري
— The Orbital Human —
التراب
Earth
Memory – Civilization
الذاكرة - الحضارة
الماء
Water
Life - Rebirth
الحياة - الولادة
Destruction ⟷ Rebirth
الدمار ← إعادة التولد
Cycles of History & Nature
دورات التاريخ والطبيعة
Consciousness from Cosmic Matter
الوعي من المادة الكونية

الفصل الأول: الإنسان، الذاكرة، وبداية الحكاية

الشمس وأهميته في الثقافات القديمة والثقافة الأيزيدية الحديثة

منذ فجر التاريخ، لم يكن الإنسان كائنًا عابرًا في الطبيعة، بل كان ذاكرةً تمشي على قدمين. لم يولد الإنسان فارغًا، ولا عاش يومًا بلا معنى، بل تشكّل وعيه الأول من مراقبة الشمس، ومن الإصغاء إلى الريح، ومن الخوف الأول من الظلام، ومن الدهشة الأولى أمام النار. في وادي الرافدين، حيث خطا الإنسان أولى خطواته الكبرى نحو الوعي المنظّم، لم تكن الحضارة مشروع سيطرة، بل محاولة فهمٍ وتوازن. هناك، لم تكتب المعرفة على الطين بوصفها سجلًا للسلطة

فحسب، بل بوصفها ذاكرةً جماعية، تحفظ العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وبين الزمن والدورة، وبين الأرض والسماء. لم ينظر الإنسان الرافديني إلى الزمن كخطٍّ مستقيم، يبدأ وينتهي، بل كحركة دائرية تتكرر وتتحوّل.

الفصول تعود، والشمس تغيب لتشرق، والبذرة تموت لتبعث، والإنسان يرحل لكن أثره يبقى في الطقس، وفي الحكاية، وفي الرمز.

من هنا، لا يمكن فهم التاريخ الرافديني بوصفه تراكم أحداث سياسية أو صراعات ملوك فقط، بل بوصفه نظام حياة تداخلت فيه العقيدة،

والزراعة،

والعمارة،

واللغة،

والاحتفال،

في نسيج واحد لا ينفصل.

هذا الفهم العميق للزمن هو ما منح الإنسان القديم طمأنينته الأولى، وجعله يقبل على الحياة لا بوصفها صراعًا مع الطبيعة، بل شراكة معها. فالنار لم تكن عدوًا، بل نورًا ودفئًا، والماء لم يكن خطرًا فقط،

بل سرّ الحياة، والأرض لم تكن ملكية، بل أمًا مانحة.في هذا السياق، تظهر الذاكرة لا كماضٍ منتهي، بل كحضور دائم. الذاكرة ليست ما نتذكّره حين نريد، بل ما نعيشه دون أن نشعر.

تسكن في العادات اليومية البسيطة، في طريقة إشعال النار،

وفي احترام الخبز،

وفي ترتيب البيت،

وفي توقيت الاحتفال،

وفي الخوف الصامت من كسر التوازن.

لقد علّم الإنسان الرافديني أبناءه أن الطقس ليس استعراضًا، بل لغة، وأن الرمز ليس خرافة، بل اختصار لمعرفة عميقة. فالقرص الشمسي لم يكن زينة، والقبّة لم تكن شكلًا معماريًا فقط، واللون لم يكن اختيارًا اعتباطيًا، بل مفردات في قاموس كوني يفهمه من يعرف القراءة خارج الحروف. ومن بين أكثر الذاكرات الإنسانية التي حافظت على هذا الفهم العميق، تبرز الذاكرة الإيزيدية بوصفها ذاكرة حيّة نجت من الانقطاعات الكبرى. لم تنجُ بالقوة، ولا بالعدد، بل بالمعنى.

بالتمسّك بالدورة، وبالخير، وباحترام العناصر الأربعة: الأرض، الماء، النار والهواء.

في الثقافة الإيزيدية، لم ينفصل المقدّس عن اليومي، ولا الطقس عن العمل، ولا العقيدة عن الأخلاق. فالخير ليس فكرة مجردة، بل ممارسة، والتحية ليست لفظًا، بل موقف، والزمن ليس عدوًا، بل معلّمًا صبورًا. هنا، يصبح فهم الذاكرة فهمًا للهوية، لا بوصفها انغلاقًا، بل استمرارية. فالهوية التي تنقطع عن ذاكرتها تتحوّل إلى قشرة، أما الهوية التي تصون ذاكرتها فتظل قادرة على التجدّد دون أن تفقد جوهرها. إن هذا الفصل لا يهدف إلى تقديم إجابات نهائية، بل إلى فتح باب التأمل.

كيف استطاع الإنسان الأول أن يعيش في عالم قاسٍ دون أن يفقد إنسانيته؟ وكيف يمكن لنا اليوم، في عالم أكثر تعقيدًا، أن نستعيد هذا التوازن دون أن نعود إلى الوراء؟

الجواب لا يكمن في الحنين، ولا في تمجيد الماضي، بل في فهمه. فحين نفهم أن الزمن دورة، وأن الخير خيار، وأن الذاكرة مسؤولية، ندرك أن الحضارة ليست ما نبنيه من حجر فقط، بل ما نحمله في وعينا ونورثه لمن بعدنا.

من هنا تبدأ الحكاية، لا من التاريخ المكتوب وحده، بل من الإنسان

حين قرر لأول مرة أن يحفظ أثره لا بالقوة، بل بالمعنى.

الجسد: الهيكل الذي سكنته الروح

تأمل إيزيدي في قداسة الجسد وأخلاق الخلق، أنا الإيزيدي المؤمن، أنظر إلى جسدي فلا أراه لحمًا وعظمًا فحسب، بل مبنى مباركًا، هيكلًا اختارته الروح مسكنًا. ولو لم يكن هذا الجسد مقدّسًا في جوهره، نقيًا في أصله، لما رضيت الروح أن تسكنه، ولا قبل الخالق أن يودع فيه سرّ الحياة. نحن لا نقدّس الجسد لأننا نعبده، بل لأننا نحفظ الأمانة. كما نحافظ على بيوتنا من القذارة والانهيار، نحافظ على أجسادنا طاهرة، لأن الجسد بيت الروح، وبيت الحكمة، ووعاء النبل. الجسد أمانة لا مِلك، أعلّمتنا تقاليدنا أن الجسد ليس ملكًا مطلقًا نعبث به، بل أمانة مؤقتة. لا نلوّثه بما يغضب الأخلاق، ولا نُدخله فيما يسيء للضمير، ولا نستخدمه أداة فساد أو إيذاء.

نحن نعرف أن ما يُدنّس الجسد يُضعف الروح، وما يكرّم الجسد يرفع الإنسان. لهذا كان الإيزيدي حريصًا: على نقاء الفعل على ضبط الشهوة على صون الحركة، على احترام ما أُودِع فيه من نور. الجسد يعمل ليحيا... ويحيا الآخر معه لم يُخلق الجسد ليُلقى على الطرقات منبوذًا، ولا ليُستعمل في الهدم والعدوان.

خلق:

ليعمل

ليزرع

ليبني

ليخدم

ليحيا هو ويُحيي غيره. فاليد التي تعمل شريفة، والقدم التي تسير في الخير مباركة، والجسد الذي يتعب في سبيل الحياة هو جسد طاهر، حتى لو علاه الغبار. نحن نعرف أن الكرامة لا تحفظ بالكلام، بل بالفعل، وأن الجسد هو أول شاهد على أخلاق الإنسان.

الجسد كوعاء للحكمة

في الجسد تحفَظ الحكمة:

في الذاكرة

في الصبر

في القدرة على التحمل

في الوقوف بوجه القسوة دون أن نصير قساة

لهذا لم نرَ في الجسد عدوًا للروح، بل رفيقها. لم نُخاصمه، بل هذّبناه. لم نقمعه، بل علّمناه طريق التوازن.

صلة الجسد بأخلاق الأسلاف العظام، هكذا فهم أسلافنا في سومر وأكد وبابل الجسد أيضًا. خلقوه من الطين، نعم، لكنهم نفخوا فيه المعنى، فصار الجسد:

مسؤولية

موضع شرف

وعلامة أخلاق

لم تبنَ حضاراتهم بالأفكار وحدها، بل بأجساد عاملة، منضبطة، تعرف حدودها. وكانت أخلاقهم تقوم على:

احترام الجسد

احترام الآخر

احترام النظام الكوني

وهذا الإرث لم ينقطع، بل عبر الزمن واستقرّ في الضمير الإيزيدي.

خلاصة التأمل أنا الإيزيدي، أقول للعالم: جسدي ليس نجسًا، ولا فاسدًا، ولا مباحًا للانتهاك. جسدي هيكلٌ سكنته الروح، وبابٌ دخلت منه الحكمة، وأداة خلقت للأعمال المباركة. أحافظ عليه كما أحافظ على بيتي، وأصونه كما أصون اسمي، وأستخدمه كما أراد الخالق: في الخير، وفي العمل، وفي النبل.

وهكذا، من سومر إلى لالش، ظل الجسد شاهدًا على حقيقة واحدة: أن القداسة لا تسكن الفراغ، بل تسكن إنسانًا يعرف قيمة ما حُمِّل من أمانة.

الفصل الثاني: من الذرّة الأولى إلى الملاك الباذر

الخلق بين العلم الكوني والذاكرة السومرية–الإيزيدية

الملاك الباذر ومحاولته زرع الارض

1 .البدء الكوني: الذرّة التي حملت الوجود تتفق الرؤية العلمية الحديثة مع الذاكرة العميقة للإنسان القديم على حقيقة جوهرية مفادها أن الوجود لم يبدأ بشكلٍ مكتمل، بل بوحدة أولى عالية الكثافة والطاقة. في لغة العلم تعرف هذه اللحظة بـ الانفجار العظيم، أما في لغة الإنسان القديم فكانت تدرك بوصفها انبثاق النور الأول أو تحرّر القوة الكامنة. لم يكن ذلك الانفجار فعل تدمير، بل تحوّلًا كونيًا أطلق المادة والزمن والحركة معًا. ومن هذا التحوّل تشكّلت اللبنات الأولى للأجرام السماوية، وبدأت رحلة التكوّن الطويلة

التي لم تكن فيها الأرض سوى جزء صغير من منظومة هائلة في طور التشكل.

2 .الأرض: الصهارة التي صُنعت بالضربات في مراحلها الأولى، لم تكن الأرض كوكبًا صالحًا للحياة، بل جسمًا ناريًا منصهرًا، يدور بعنف ويتلقى صدمات مستمرة من كتل سماوية محمّلة بالمعادن. هذه الضربات، التي يراها العلم اليوم جزءًا من تشكّل الكواكب، كانت في حقيقتها أدوات بناء لا وسائل هدم. بفعل هذه الاصطدامات:تشكّلت نواة الأرض، تباطأت سرعتها وبدأت طبقاتها بالتمايز.

وفي تلك المرحلة لم يكن للأرض غلاف يحميها، ولا جاذبية مستقرة كما نعرفها اليوم، فكانت عرضة للتفاعل المباشر مع الفضاء، حتى دخلت طور الهدوء النسبي بعد زمن لا يمكن تقديره.

3 .الغازات والماء: تهيئة المسرح للحياة مع استقرار النواة وبداية تماسك القشرة، بدأت الأرض تطلق الغازات المختزنة في أعماقها. تشكّلت الأغلفة الغازية الأولى، ومنها الأكسجين والهيدروجين، وبدأت دورة الماء بالظهور: تكاثف، مطر وتبخر. عودة إلى السماء، لعب الماء دورًا مزدوجًا: إخماد حرارة السطح وتهيئة البيئة للتفاعل الكيميائي الحيوي، تغلغل الماء في شقوق الأرض، وخزّن في تجاويفها، وأعاد تشكيل سطحها عبر الجبال والوديان، حتى بلغت الأرض حالة من التوازن الديناميكي الذي يسمح ببدء الحياة.

4 .لحظة الانتقال: من الفيزياء إلى المعنى هنا يصل العلم إلى حدوده الوصفية، ويبدأ سؤال المعنى. فالأرض أصبحت جاهزة، لكن الجاهزية لا تعني الخلق بحد ذاته. في هذه اللحظة بالذات، تدخل الذاكرة الرمزية للإنسان القديم لتشرح ما بعد التهيئة. في الموروث السومري والإيزيدي، لا تبدأ الحياة تلقائيًا، بل عبر فعل قصدي مقدّس.

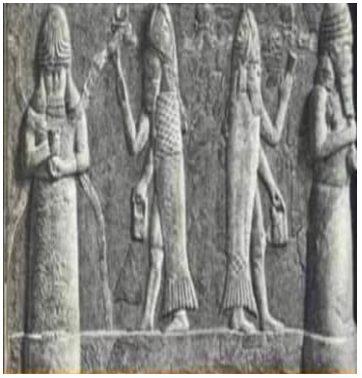

الملاك الباذر على جميع الهيئات

5 .الملاك الباذر: الرمز الكوني لفعل الخلق تظهر في حضارات وادي الرافدين صورة متكررة لكائن مجنّح، يحمل سلة وبذرة، وأحيانًا يرتبط بالماء أو السمكة. هذه الصورة، التي انتشرت من ميزوبوتاميا إلى مناطق بعيدة، ليست كائنًا أسطوريًا بالمعنى البسيط، بل تمثيل رمزي لفعل البذر الكوني. في الذاكرة الإيزيدية يُعرف هذا الفعل بـ الملاك الباذر، الذي: لا يخلق المادة بل يطلق الحياة فيها وينثر البذور حيثما اكتملت القابلية أول موضع نزل عليه هذا الفعل هو لالش،

بوصفها خميرة الأرض ونقطة التوازن الأولى. ومن هناك بدأ نثر البذور: على اليابسة وتحت الماء ولكل الكائنات نصيبها ولهذا ما زال الإنسان الإيزيدي، حتى اليوم، لا ينثر بذرة إلا بعد ذكر ڕێري جوت وطلب البركة، مع الاعتراف بحق باقي الكائنات في الرزق.

6.الاخضرار والدورة الكبرى مع نثر البذور، دخلت الأرض مرحلة الاخضرار: النبات، الحيوان وتوازن الدورات. لم يكن الخلق لحظة واحدة، بل عملية زمنية تدرّجية، حتى بلغت الأرض اكتمالها الرمزي. وتذكر الأقوال الدينية الإيزيدية أن اكتمال الخليقة صادف يوم الأربعاء، وهو اليوم الذي يمثل توازن العناصر واكتمال الدائرة. لهذا يُعد الأربعاء يومًا مقدسًا ويُحتفل به كعيد للخليقة ويقع في أول أربعاء وفق التقويم الإيزيدي الأربعاء هنا ليس تاريخًا فلكيًا فقط، بل رمز اكتمال النظام الكوني.

7 .خلاصة الفصل: لا يتعارض العلم مع الذاكرة الإيزيدية، بل يكملها، لعلم يشرح كيف تشكّل الكون التراث يفسّر متى ولماذا بدأت الحياة والملاك الباذر هو اللغة الرمزية التي استخدمها الإنسان القديم لفهم لحظة التحوّل من المادة إلى الحياة إنه فصل يربط: الفيزياء بالمعنى والطاقة بالحكمة والكون بالذاكرة الإنسانية

الفصل الثالث: الزمن الدائري

من تقاويم السماء إلى طقوس الأرض

العناصر الاربعة

لم يكن الزمن، في وعي الإنسان القديم، مجرّد أداة لقياس الأيام، ولا خطًّا مستقيمًا يبدأ ولا يعود، بل كان كائنًا حيًّا، يتنفّس مع الطبيعة، ويتحرّك مع الشمس، ويُقاس بعودة الأشياء لا بذهابها. في وادي الرافدين، تشكّل هذا الفهم للزمن من مراقبة السماء قبل تدوين الألواح، ومن تتبّع مسار الشمس قبل اختراع التقويم، ومن الإصغاء إلى الأرض قبل ضبط المواسم بالأرقام. الشروق لم يكن حدثًا يوميًا فحسب، بل وعدًا متجدّدًا، والغروب لم يكن نهاية، بل استعدادًا لعودة أخرى.

هكذا، صار الزمن دائرة، لا نقطة بداية لها ولا نهاية، بل حركة مستمرة تتجلّى في الفصول، وفي الزراعة، وفي الطقوس، وفي حياة الإنسان نفسه. لم يُفصل التقويم الرافديني عن الحاجة العملية، ولا عن الرؤية الكونية. فموعد الزرع لم يكن قرارًا اقتصاديًا فقط، بل انسجامًا مع حركة السماء، وموعد الحصاد لم يكن نهاية عمل، بل احتفالًا بإتمام دورة كاملة بين الإنسان والأرض. الألواح الطينية التي وصلت إلينا لا تخبرنا عن أرقام مجرّدة، بل عن وعي زمني يربط بين الكواكب، والفصول، والأعياد، والحياة اليومية. فالزمن كان يُفهم من خلال العلامة، والرمز، والتكرار،لا من خلال القطع والانفصال. ومن هذا الفهم، وُلدت الأعياد الكبرى، لا بوصفها مناسبات عابرة، بل كمحطات كونية تتوقّف عندها الجماعة لتعيد ضبط علاقتها مع الزمن. الانقلاب الشتوي، والاعتدال الربيعي، والانقلاب الصيفي، والاعتدال الخريفي، لم تكن مجرّد ظواهر فلكية.

بل مفاصل وجودية يُعاد عندها توازن الإنسان مع الطبيعة. في هذا الإطار، لم يكن الصيام حرمانًا، بل تناغمًا، ولا كان الاحتفال ترفًا، بل اعترافًا بدورة مكتملة. فالامتناع المؤقّت يُعيد ترتيب الجسد مع الزمن، والفرح الجماعي يُعيد ترتيب الروح مع الجماعة.

هذا الفهم العميق للزمن لم ينقطع بانتهاء الحضارات، بل استمر في الذاكرة الشفوية، وفي الطقوس التي حافظت على جوهرها حتى وإن

تغيّرت أشكالها. وفي الثقافة الإيزيدية، يتجلّى هذا الاستمرار بوضوح لافت. فالأعياد الإيزيدية لا تفهم خارج علاقتها بالفصول، ولا تمارس بمعزل عن حركة الشمس. الزمن هنا ليس عدوًا يُهزم، ولا عبئًا يُتجاوز، بل معلّمًا يُصغى إليه. ولهذا، لم تفصل العقيدة عن التقويم، ولا الطقس عن الطبيعة. إن فهم الزمن بوصفه دائرة هو ما منح الإنسان الإيزيدي قدرة نادرة على الصبر، وعلى التحمّل، وعلى البقاء.

فالذي يرى الزمن خطًّا ينهار عند الانكسار، أمّا الذي يراه دائرة فيعرف أن العودة ممكنة حتى بعد أقسى الغيابات. في هذا الفصل، لا نتحدّث عن الزمن كفكرة فلسفية مجرّدة، بل كخبرة معيشة، تختبر في الجسد، وفي الأرض، وفي الجماعة. فحين يُفهم الزمن بوصفه دورة، تتغيّر علاقة الإنسان بالألم، وبالانتظار، وبالأمل. ومن هنا، يمكن قراءة كثير من الطقوس لا بوصفها بقايا ماضٍ، بل كأدوات ضبط زمني تحفظ توازن الإنسان في مواجهة الفوضى.

فالطقس، في جوهره، هو مقاومة للنسيان، وحماية للدورة من الانقطاع. هكذا، لا يعود الزمن قوّة عمياء، بل شريكًا في الحياة.

ولا تعود الذاكرة عبئًا، بل بوصلة. ومن هذا الفهم، يواصل الكتاب رحلته نحو قراءة أعمق للرموز، والطقوس، والبُنى التي حفظت الحكمة حين تكسّرت الأزمنة.

اطفال من الشعب الأيزيدي في بدايات القرن العشرين

الفصل الرابع: الطقس والرمز

حين تتكلم الذاكرة بلغة غير مكتوبة

أوجه التشابه بين أبناء الشعب الايزيدي والسومري

لم يكن الطقس، في وعي الإنسان القديم، فعلًا زائدًا عن الحاجة، ولا ممارسة شكلية تؤدّى بلا معنى، بل كان لغة الوجود الأولى، اللغة التي سبقت الحروف، وسبقت القوانين، وسبقت حتى تسمية الأشياء. فالإنسان، قبل أن يكتب، كان يمارس. وقبل أن يشرح، كان يكرّر.وقبل أن يُنظّر، كان يرمز. في وادي الرافدين، لم تفصل الطقوس عن الحياة اليومية، ولا عُزل الرمز عن العمل، ولا فُهم المقدّس بوصفه مجالًا منفصلًا عن اليومي.

فالحرث كان طقسًا،

والخبز طقسًا،

وإشعال النار طقسًا،

والاحتفال طقسًا،

وحتى الصمت في لحظات معيّنة كان طقسًا له دلالته. الطقس، في جوهره، ليس تكرارًا أعمى، بل تثبيتا للمعنى في الزمن. هو الطريقة التي تقول بها الجماعة لنفسها: نحن ما زلنا هنا، نحن نفهم العالم كما فهمه من قبلنا، ونعيد ترتيب علاقتنا معه في كل دورة زمنية جديدة. أما الرمز، فلم يكن اختزالًا سطحيًا، ولا زينة شكلية، بل أداة معرفة. الرمز لا يشرح، بل يُشير. لا يُغلق المعنى، بل يفتحه. ولهذا، كان الرمز أقدر من الكلام على عبور الأزمنة دون أن يفقد جوهره. فالقرص الشمسي، لم يكن رسمًا دائريًا فحسب، بل تمثيلًا لفكرة الاستمرارية، ولحضور النور بوصفه مركزًا كونيًا. والنار لم تكن عنصرًا ماديًا فقط، بل وسيطًا بين الأرض والسماء، وبين الإنسان والقوة الخلّاقة في الكون. والطين لم يكن مادة بناء فحسب، بل ذاكرة قابلة للتشكيل.

تكتب،

وتحرق،

وتبقى.

في هذا السياق، لم يكن الطقس يحتاج إلى تفسير دائم، لأن الجسد كان يفهمه، والذاكرة الجماعية كانت تحمله. فالطفل، قبل أن يعرف السبب، كان يعرف التوقيت. يعرف متى تشعل النار، ومتى يُحترم الصمت، ومتى يُوزّع الخبز، ومتى يُرفع الدعاء.

ومع مرور الزمن، لم تختفِ هذه اللغة، بل انتقلت من المعابد إلى البيوت، ومن الألواح إلى الصدور، ومن النص المكتوب إلى الطقس الممارس. في الثقافة الإيزيدية، نرى هذا الامتداد بوضوح شديد. فالطقس لا يُمارَس بوصفه واجبًا ثقيلًا، بل بوصفه فعل توازن. والرمز لا يُقدَّم شرحًا، بل يُترك ليعمل في الوعي بهدوء. الألوان، اتجاهات الحركة، توقيت الأعياد، طريقة إشعال النار، التحية، الصمت، حتى الامتناع المؤقت عن بعض الأفعال...

كلّها ليست تفاصيل عشوائية، بل مفردات في لغة قديمة ما زالت مفهومة لمن يعرف كيف يُنصت. وهنا، يجب التمييز بين الطقس الحي والطقس الميت. فالطقس الحي هو الذي يبقى متصلًا بالمعنى، ويتجدّد مع كل ممارسة. أما الطقس الميت فهو الذي يُؤدّى دون فهم، ودون إحساس، ودون علاقة بالزمن الذي يُمارَس فيه.

ولعلّ سرّ بقاء الذاكرة الإيزيدية يكمن في هذا التوازن الدقيق: الحفاظ على جوهر الطقس دون تحويله إلى قيد، والحفاظ على الرمز دون تجميده في تفسير واحد. فالرمز، حين يُغلق، يموت. وحين يُترك مفتوحًا، يعيش. في هذا الفصل، لا ننظر إلى الطقوس بوصفها بقايا ماضٍ غامض، بل بوصفها نظام معرفة غير مكتوب، نظامًا علّم الإنسان كيف يعيش في عالم غير مستقر، دون أن يفقد بوصلته. فالذي يمتلك طقسًا، يمتلك زمنًا.والذي يفهم الرمز، يمتلك معنى. والذي يحفظ الذاكرة في الممارسة، لا يخشى الانقطاع. ومن هنا، نفهم أن الطقس ليس نقيض العقل، بل شكله الأول. وأن الرمزليس نقيض العلم، بل جذره البعيد. وأن الذاكرة حين تحفظ بالفعل اليومي، تصبح أقوى من أي نص مكتوب. بهذا الفهم، نواصل رحلتنا في الكتاب، نحو قراءة أعمق للعمارة، واللغة، والأعياد، بوصفها امتدادات حيّة لهذه اللغة الصامتة التي ما زالت تتكلّم فينا.

الفصل الخامس: الأرض والعناصر الأربعة

العناصر الأربعة : النار، الماء، الهواء والارض

فلسفة التوازن في الوعي الرافديني والإيزيدي لم ينظر الإنسان القديم إلى الأرض بوصفها سطحًا صامتا أو مادة جامدة، ولا باعتبارها موردًا يُستغلّ ثم يُهمل، بل ككائن حيّ يشاركه الوجود، ويستجيب له بقدر ما يُحترم. في وادي الرافدين، حيث كانت الطبيعة قاسية أحيانًا وسخيّة أحيانًا أخرى، تعلّم الإنسان باكرًا أن البقاء لا يتحقّق بالقوة، بل بالفهم والتوازن. ومن هذا الإدراك، تشكّلت فلسفة العناصر الأربعة:

الأرض، الماء، النار والهواء.

لم تكن هذه العناصر مجرّد تصنيفات بدائية، ولا محاولات تفسير ساذجة للكون، بل لغة شاملة يفهم بها الإنسان موقعه في العالم، ويحدّد من خلالها حدود فعله، ومسؤوليته، وعلاقته بكل ما يحيطبه.

بداية رسم التوقيتات الزمنية لدى السومريين على الاواني الفخارية

الأرض: الذاكرة الحاملة الأرض، في الوعي الرافديني، لم تكن ملكية، بل أمانة. هي التي تحمل آثار الأقدام، وتحفظ العظام، وتستقبل البذور، وتعيدها حياة جديدة. لهذا، كان لمس التراب فعل وعي، وكان الحفر فعل مسؤولية، وكان البناء حوارًا مع المكان لا اعتداءً عليه. الأرض هي الذاكرة الأوسع، التي لا تتكلّم لكنها لا تنسى. ومن يُسيء إليها يقطع صلته بالماضي ويُربك مستقبله.

الماء: سرّ الاستمرار والتحوّل الماء لم يكن عنصر حياة فحسب، بل معلّم الصبر. يأتي حين يأتي، ويغيب حين يغيب، ولا يُستدعى بالقوة بل بالانتظار والمعرفة. في حضارات الأنهار، كان الإنسان يعرف أن السيطرة على الماء وهم، وأن التفاهم معه هو النجاة. لهذا، نشأت طقوس الاستسقاء، لا بوصفها استعطافًا، بل بوصفها اعترافًا بعجز الإنسان وأهمية التوازن. الماء يغيّر شكله دون أن يفقد جوهره، وهكذا تعلّم الإنسان أن المرونة ليست ضعفًا بل حكمة.

صورة يضهر فيها محاولات بدائية الإنسان قديم في العراق لفهم الإنسان الفصول والجهات والعناصر الأربعة

النار: القوة التي تحتاج إلى أخلاق النار، أخطر العناصر وأكثرها التباسًا، كانت امتحانًا دائمًا للإنسان. قادرة على أن تمنحه الدفء والنور، وقادرة على أن تلتهم كل ما حوله. لهذا، لم تترك النار بلا معنى، ولا بلا ضابط. أحيطت بالطقس، وبالتوقيت، وبالاحترام. أشعلت للحياة لا للخراب، وللتطهير لا للانتقام. النار، حين تدار بحكمة، تنضج، وحين تترك للغضب، تحرق صاحبها قبل غيره.

الهواء: الكلمة والنفَس والمعنى الهواء، رغم أنه لا يُرى، كان حاضرًا في الوعي القديم بوصفه جوهر الحياة. هو النفس، والصوت، والكلمة التي تقال ولا تعود كما كانت. لهذا، أُعطيت الكلمة وزنها، والدعاء مكانته، والصوت حضوره. فالإنسان الذي يفسد الهواء بالكذب، والصراخ، والشر، يُفسد توازنه الداخلي حتى وإن بقي حيًّا جسديًا. العناصر بوصفها منظومة واحدة لم تفهم هذه العناصر يومًا بصفتها قوى منفصلة، بل كجسد واحد. اختلال عنصر يعني اضطراب الكل. ومن هنا، نشأ مفهوم التوازن بوصفه قانونًا كونيًا قبل أن يكون قيمة أخلاقية. في الثقافة الإيزيدية، استمر هذا الفهم حيًّا. لم يتحوّل إلى فلسفة مكتوبة، بل إلى سلوك يومي. احترام الأرض، وصيانة الماء، وتقديس النار وتنقية الكلمة، ليست شعارات، بل طرق عيش.

فالإنسان الإيزيدي لا يفصل بين العبادة والعمل، ولا بين الطقس والأخلاق. حين يزرع، يمارس حكمة قديمة. وحين يشعل النار، يعيد ترتيب العلاقة مع القوة. وحين يورّع الخبز، يؤكّد انتماءه إلى نظام الخير لا إلى منطق التكديس. هذا الوعي بالعناصر هو ما منح الجماعة قدرتها على البقاء رغم القسوة، ورغم الانقطاعات، ورغم محاولات الاقتلاع. فالذي يعرف الأرض لا يضيع، والذي يحترم الماء لا يجفّ من الداخل، والذي يضبط النار لا يتحوّل إلى رماد، والذي

يصون الكلمة يحافظ على نقاء الهواء من حوله. في هذا الفصل، لا نقرأ العناصر الأربعة بوصفها تراثا رمزيًا فقط، بل بوصفها منهج حياة متكامل، يعلّم الإنسان كيف يكون جزءًا من الطبيعة لا خصمًا لها، وكيف يحفظ توازنه الداخلي حين يختلّ العالم الخارجي. ومن هذا العمق، ننتقل في الفصول القادمة إلى تتبّع تجسّد هذه الفلسفة

في العمارة

واللغة

والطقوس

والأعياد

بوصفها أشكالًا حيّة للعلاقة القديمة بين الإنسان والعناصر والزمن والمعنى.

الفصل السادس: الخبز والنار

السيدة الأيزيدية تخبز الخبز في تنور بزيها الفلكلوري الايزيدي قي شنگال

الخبز والنار: قداسة اليومي في الذاكرة الرافدينية والإيزيدية لم تكن القداسة، في وعي الإنسان القديم، محصورة في المعابد العالية ولا في الطقوس النادرة، بل كانت تسكن اليومي، وتظهر في أبسط الأفعال التي تتكرّر كل يوم دون ضجيج. في وادي الرافدين، حيث كان الجوع خطرًا دائمًا، والبرد تهديدًا موسميًا، فهم الإنسان باكرًا أن الخبز والنار ليسا مجرد حاجتين مادّيتين، بل شرطَي بقاءٍ ومعنى. فالخبز، لم يكن طعامًا فقط، بل ثمرة علاقة طويلة بين الأرض، والماء، والشمس، والعمل البشري.

كل رغيف يحمل داخله قصة موسم، وصبر فلاح، وانتظار مطر، وتوازن عناصر. لهذا، لم يُعامل الخبز باستخفاف. لم يُرمَ، ولم يُداس، ولم يُؤكل بلا وعي. حين يسقط على الأرض يُرفع، ويُقبَّل، ويُعاد إلى مكان انضف، لا بوصفه مادة، بل بوصفه نعمةً ذات ذاكرة. هذا السلوك لم يكن طقسًا معزولًا، بل تعبيرًا عن فلسفة عميقة: أن ما يأتي من الأرض يجب أن يُقابل بالاحترام، وأن الاستخفاف بالقوت هو استخفاف بالحياة نفسها.

أما النار، فكانت الوجه الآخر للخبز. فمن دون النار لا يُنضج العجين، ولا يُصان الجسد من البرد، ولا تجمع الجماعة حول دفء واحد. النار هي التي حوّلت القمح من حبة صامتة إلى طعام حيّ. لكن النار، بقدر ما كانت ضرورية، كانت خطِرة. ولهذا، أُحيطت بالاحترام، وبالضبط، وبالطقس. لم تشعل عبثا، ولم تطفأ بلا معنى. كان لها وقت، ومكان، وسياق. في الليالي الطويلة، لم تكن النار مصدر دفء فحسب، بل مركز الحكاية. حولها، تنقل الذاكرة، وتروى القصص، وتعلَّم القيم، ويُعاد ترتيب العالم بالكلام. النار كانت شاهدًا، ومعلّمًا، وحارسًا للذاكرة الشفوية. في الثقافة الإيزيدية، استمر هذا الفهم دون انقطاع. فالخبز ما زال يُعامل بوصفه رمز خير، والنار ما زالت تشعل بوصفها نورًا لا سلاحًا. لم تتحوّل هذه الممارسات إلى طقوس فارغة، بل بقيت مرتبطة بالسلوك والأخلاق.

حين توزّع الخبزة، يُقسَم الخير. وحين تشعل النار، يُعلَن الدفء لا العنف. وحين يجتمع الناس حولها، تعود الجماعة إلى أصلها الإنساني قبل الانقسام. وهنا، يتضح الفرق بين القداسة الحيّة والقداسة المجرّدة. فالقداسة الحيّة هي التي تمارَس في الفعل اليومي، وفي احترام التفاصيل الصغيرة. أما القداسة المجرّدة فهي التي ترفع شعارًا وتهمل في السلوك.

فتيات ايزيديات في مواسم الزيارات

لقد أدرك الإنسان الرافديني، ومن بعده الإيزيدي، أن العالم لا يُصان بالنصوص وحدها، بل بالأفعال المتكرّرة التي تعيد التوازن في كل يوم. فالخبز، حين يُحترم، يعلّم التواضع. والنار، حين تضبط، تعلّم المسؤولية. وبينهما، تتشكّل أخلاق الحياة. في هذا الفصل، لا ننظر إلى الخبز والنار بوصفهما رمزين تراثيين فقط، بل بوصفهما مدخلًا لفهم فلسفة الخير كما تشكّلت في أقدم حضارات الإنسان واستمرّت حيّة في الذاكرة الإيزيدية. ومن هذا الفهم، ندرك أن الحضارة لا تقاس بما تشيّده من معابد وقصور، بل بما تحافظ عليه في مطبخها، وفي موقدها، وفي طريقة جلوسها حول النار حين يشتدّ البرد ويطول الليل.

الفصل السابع: حين تكلّم الصوت قبل الكلمة

الموسيقى بوصفها نظام الخلق في الذاكرة الإيزيدية والرافدينية

رجلان ايزيديان يعزفان ويغنيان على انغام آلة الطنبورة مقامات فلكلورية

١. مدخل: قبل أن تكتب الكلمة، كان الصوت قبل أن يتعلّم الإنسان الكتابة، وقبل أن تدوَّن الأساطير والشرائع، كان الصوت هو الوسيط الأول بين الإنسان والكون. لم يكن الصوت مجرّد ذبذبة، بل قانونًا خفيًا ينظّم العلاقة بين السماء والأرض، بين الجسد والروح، وبين الزمن والدورة. في هذا السياق، لا يمكن فهم الموسيقى في الموروث الإيزيدي بوصفها فنًا أو زينة طقسية، بل بوصفها لغة كونية

قديمة، سبقت النص، وحملت المعرفة حين كانت المعرفة تعاش ولا تدوَّن.

٢. السلم السباعي: بنية كونية لا صدفة صوتية يكشف البحث في حضارات وادي الرافدين أن السلم الموسيقي السباعي لم يكن نتاج تطور فني اعتباطي، بل انعكاسًا مباشرًا لنظام كوني يقوم على العدد سبعة: سبعة كواكب، سبعة آلهة كبرى، سبعة أبواب، وسبع مراحل للزمن والتحوّل. في الفكر السومري، كان لكل نغمة موقع ووظيفة، كما لكل إله دور في حفظ توازن الكون. ومع انتقال هذا الإرث عبر القرون، لم ينقطع، بل تحوّل وتكيّف داخل البنية الدينية الإيزيدية، حيث يظهر مفهوم الخودانات السبعة (الملائكة السبعة) بوصفه استمرارًا رمزيًا لهذا النظام، لا قطيعة معه. الموسيقى هنا ليست تقليدًا ثقافيًا، بل ذاكرة عددية كونية، تحفظ بالصوت بدل الحجر.

٣. الشاز والقدوم: حين تصبح الآلة لغة في الطقس الإيزيدي، يحتل الشاز والقدوم مكانة تتجاوز مفهوم "الآلة الموسيقية". فهما لا يُستخدمان للغناء بمعناه الدنيوي، بل لأداء وظيفة أعمق: تهيئة الفضاء الروحي. الصوت الصادر منهما: لا يهدف إلى الإطراب بل إلى خلق انسجام وفتح مسار بين المرئي واللامرئي ولهذا، ارتبط

وجودهما بالمناسبات الدينية الكبرى، حيث يُفهم الصوت بوصفه وسيطًا بين العوالم، لا مجرد أداة تعبير.

القوالون يشاركون في مراسم فتح مقبرة جماعية في شنگال

٤. أسطورة الجسد والصوت: لماذا لا تسكن الروح جسدًا صامتًا؟ في الموروث الإيزيدي، ترِدُ فكرة عميقة مفادها أن جسد آدم لم تنفخ فيه الروح إلا بعد أن عُزفت الموسيقى. هذه الرواية، إذا نُزعت من القراءة السطحية، تكشف رؤية فلسفية دقيقة: الجسد غير المهيّأ ذبذبيًا لا يصلح لسكن الروح. الموسيقى هنا: توازن العناصر تنظّم الإيقاع الداخلي وتحوّل الجسد من مادة خام إلى كيان قابل للحياة

وهي فكرة نجد صداها في فلسفات قديمة عديدة، حيث يُنظر إلى الكون كله بوصفه "نغمة كبرى"، والإنسان بوصفه جزءًا منها.

٥. الصوت، الزمن، والدورة لم تكن الموسيقى في الثقافات القديمة منفصلة عن الزمن. فالفصول، الأعياد، الصيام، وحتى العمل الزراعي، كانت جميعها مرتبطة بإيقاع محدد، تحترم فيه لحظة البدء والانتهاء. في هذا الإطار، يمكن فهم الموسيقى الإيزيدية على أنها: أداة ضبط زمني ووسيلة تذكير بالدورة ونظام يحفظ التوازن بين الإنسان والطبيعة الصوت هنا لا يُكسر، كما لا تكسر الدورة.

رجال الدين والمنشدين الكالو لدى السومريين وهم يعزفون على آلات الدف والشبيب. أو الشاز والقدوم في أجواء روحية والقوالين الأيزيديين امتداد لهم

القيثارة السومرية

٦. كيف عرف الأجداد ما لم ندرسه نحن؟ يبقى السؤال الذي يفرض نفسه: كيف امتلك الأجداد، وهم أناس بسطاء بعيدون عن العلم الحديث، هذه الدقة في فهم الإيقاع، الصوت، ودورة الحياة؟ الجواب لا يكمن في التعليم النظامي، بل في المعرفة المتراكمة عبر المعايشة. معرفة تبنى عبر الإصغاء للطبيعة، مراقبة السماء، ومشاركة الطقس، لا عبر الفصل بين الإنسان وبيئته. لقد عرفوا لأنهم كانوا جزءًا من الإيقاع، لا متفرجين عليه.

٧. خاتمة: الموسيقى بوصفها ذاكرة حيّة الموسيقى في الإيزيدية ليست محفوظة في كتب، بل في الصدر، في الطقس، وفي الذاكرة الجماعية. إنها معرفة لا تلقَّن، بل تورَّث، ولا تشرح، بل تعاش.

وحين نفقد فهم هذه الموسيقى، لا نفقد فنًا، بل نفقد مفتاحًا لفهم ذواتنا وتاريخنا. إن إعادة الإصغاء إلى هذا الصوت القديم ليست عودة إلى الماضي، بل محاولة لإنقاذ ما تبقّى من الذاكرة الكونية للإنسان

الفصل الثامن: اللغة المشتركة ذاكرة الصوت بين سومر والإيزيدية

زوجان من العالم القديم في العراق

ليست اللغة مجرّد أداة تواصل، ولا الأصوات محض اتفاقات بشرية عابرة، بل هي ذاكرة حيّة، تراكم التجربة، وتخزّن الخوف والفرح، وتحمل في مقاطعها الأولى آثار الطين، والنار، والماء، والسماء.في وادي الرافدين، لم تولد اللغة منفصلة عن الكون، بل خرجت من العمل، والطقس، والزراعة، والبناء، والعبادة. وهكذا، فإن كثيرًا مما نسمّيه اليوم "لغة" هو في جوهره فلسفة وجود مختزلة في صوت. واللغة

الإيزيدية، بوصفها لغة ذاكرة شفوية، لم تنقطع عن هذا الأصل، بل حافظت عليه في الكلمات اليومية، وفي الأفعال المرتبطة بالطبيعة، وفي المفردات التي لم تشرح يومًا لأنها كانت تعاش قبل أن تفسَّر.

أولًا: اللغة في وادي الرافدين – حين كان الصوت معرفة في الحضارات السومرية والأكدية والبابلية، لم تكن اللغة محايدة. الكلمة كانت: فعلًا نداءً أمرًا كونيًا أو عقدًا بين الإنسان والآلهة ولهذا نقرأ في الألواح الطينية أن: الخلق يتم بالكلمة القوانين تمنح بالكلمة اللعنات والبركات تنطق ولا تكتب فقط اللغة كانت قوة فاعلة، وليست مجرد وصف للواقع.

ثانيًا: من الطين إلى اللسان – ولادة المفردة من العمل أغلب المفردات الأولى في وادي الرافدين نشأت من: الزراعة، النار، الطين، البناء الخَبز، الصهر والسقي

وهنا تكمن النقطة المفصلية: الكلمة وُلدت من اليد، لا من الذهن فقط. فالطين الذي يُحرَق ليس مجرد مادة، بل أصل حضارة، وأصل لغة. ثالثا: أمثلة من اللغة المشتركة (السومرية – الأكدية الإيزيدية)

1 .شوتين / شوات / نشوتين في اللسان الإيزيدي: شوتين: الحرق، الإشعال.

شوات: الاحتراق أو النار المتقدة نشوتين: التحوّل بفعل النار وهذه المفردات تعود بجذورها إلى: مفهوم حرق الطين صناعة الفخار

تحويل المادة من هشّة إلى خالدة في الحضارة السومرية، الفخار لم يكن إناءً فقط، بل زمنًا محفوظًا بالنار. وهكذا تصبح الكلمة شاهدًا حضاريًا، لا وصفًا لغويًا فقط.

2 .خبز / حنطة / قوت في الثقافة الإيزيدية: الخبز يُقبَّل إذا سقط يُحفظ كبركة يُقسَم به أحيانًا وهذا السلوك ليس عاطفة فقط، بل امتداد لفهم سومري قديم يرى في الحنطة قوت الروح قبل الجسد. السومريون عدّوا الحبوب: هبة إلهية أساس الاستقرار معيار التحضر واللغة احتفظت بهذا المعنى دون شرح.

3 .النار – الضوء – الطهارة في الإيزيدية: النار ليست للتدمير بل للتطهير والدفء وبداية الحياة في الشتاء وفي وادي الرافدين: النار عنصر كوني ووسيط بين السماء والأرض حتى المفردات المرتبطة بها تحمل طابع القداسة لا الخوف. رابعًا: لماذا بقيت هذه المفردات حيّة في الإيزيدية؟ لأن الإيزيدية لم تدوَّن كدين كتابي جامد، بل عاشت:

في الجبل

في الحقل

في التنور

في الأغنية

في الدعاء اليومي

فلم تقتل الكلمات بالشرح، ولم تجمَّد في النصوص، بل استمرّت بالتداول الطبيعي. وهذا ما حفظ الجذر الرافديني فيها أكثر من لغات كثيرة كُتبت ثم انقطعت عن الحياة.

خامسًا: اللغة بوصفها مقاومة كل إبادة تعني: قتل الإنسان تدمير المكان ومحاولة محو اللغة لكن بقاء المفردة هو فشل الإبادة. حين يقول الإيزيدي كلمة قديمة ولا يعرف أصلها العلمي، فهو يمارس دون وعي طقس بقاء حضاري عمره آلاف السنين. سادسًا: اللغة المشتركة ليست تشابهًا... بل استمرارية ليس الهدف من هذا الفصل إثبات: "نحن أول" أو "نحن الأصل" بل إظهار أن: الذاكرة لا تموت والصوت أصدق من الحجر واللغة أطول عمرًا من الإمبراطوريات الإيزيديون لم يرثوا سومر كنص، بل عاشوها كلغة وسلوك ومعنى.

خاتمة الفصل حين ننصت جيدًا لكلماتنا اليومية، نسمع همس الأجداد، ونرى أثر الطين على الأصابع، ونشم رائحة التنور الأول. اللغة الإيزيدية ليست بقايا لغة قديمة، بل لغة بقيت لأنها عاشت. وما دام الصوت حيًا، فالذاكرة لم تهزم.

الفصل التاسع: القُبّة هندسة السماء على الأرض

من معابد سومر إلى قباب لالش ومن قبعة الملك إلى قبعة الإنسان

صورة لأحد المعابد الشعب اليزيدي

لم يكن البناء في وادي الرافدين فعلَ سترٍ أو حماية،لابل كان محاولة واعية لإعادة تشكيل السماء على الأرض. كل حجرٍ وُضع، وكل انحناءةٍ رُسمت، وكل قُبّةٍ ارتفعت، كانت تقول شيئًا عن الزمن، عن حركة الشمس، وعن مكان الإنسان في هذا الكون الواسع. ولهذا لم تكن القُبّة شكلًا معماريًا جماليًا فحسب، بل نصًا فلكيًا صامتًا، يُقرأ بالضوء والظل، وبحركة النهار والفصول، وبالوقوف الصامت تحتها.

أولًا: القبة في الوعي السومري – السماء المصغّرة في الفكر السومري، لم تكن السماء بعيدة ولا غيبية، بل حاضرة، مرئية، وقابلة للتمثيل.

المعبد لم يُبنَ كجدار يفصل، بل كمحور يصل: الأرض بالسماء الإنسان بالإله الزمن بالدورة الكونية القُبّة هنا لم تكن غطاءً، بل استدارة السماء نفسها، ورمز الاكتمال، والدورة التي لا بداية لها ولا نهاية.

ثانيًا: الشكل المخروطي – صعود النور وتكثيف المعنى لم يكن الشكل المخروطي للقبة اختيارًا تقنيًا، بل قرارًا رمزيًا عميقًا.

الشكل المخروطي: يبدأ من قاعدة واسعة (الأرض) ويصعد متكاثفًا نحو نقطة واحدة (السماء) في أعلى القبة: يظهر رمز الشمس وتحتها الكوكبان (عطارد والزهرة) بوصفهما الوسطاء بين العالمين ثم ينحدر الشكل كأشعة شمس متجمّدة في الحجر، حتى يصل إلى الأساسات.

الاضلاع ثالثا ..الاضلاع حين يبنى الزمن على الاضلاع مالا يراه الآخرين فيها. العمارة الرافدينية اهم مما يرى.

١.الاثنا عشر ضلعا. الكثير من القباب والمعابد بنيت على ١٢ ضلعا ترمز إلى اشهر السنة اكتمال الدورة الزمنية في طبقة من طبقات المعبد وايضا شاركت بطبقة أخرى بسبعة اضلع لترمز هي الأخرى إلى سبع ملائكة والوان الطيف السبعة وعدد ايام الاسبوع وأخرى كما ستجد طبقة أخرى ب (٤) الأضلاع ترمز الى العناصر الأربعة والفصول الأربعة والجهات الأربعة وهكذا ستجد التداخل الفلكي

والروحي والتنظيم الكوني في للغة واحدة في الذاكرة الأيزيدية التي توارثها من الرؤيا العضيم للملك كوديا الذي سنتطرق إليه بشكل أدق لاحقا

رابعًا: من القُبّة إلى القِبعة – حين تسكن السماء رأس الإنسان إذا كانت القُبّة سماءً بُنيت فوق الأرض، فإن القِبعة هي سماءٌ حُمِلت فوق رأس الإنسان. تظهر المنحوتات السومرية والأكدية والبابلية الملوك والكهنة وهم يرتدون: قبعات مخروطية الشكل يلتف حولها قماش دائري بلا زوايا حادة وبلا تيجان مسننة في مراحلها الأولى هذه القبعة لم تكن زينة ملكية فقط، بل قُبّة مصغّرة تحاكي هندسة السماء. الشكل المخروطي: صعود تركّز اتصال عمودي بين الأرض والسماء أما القماش الملفوف حولها: فيرمز إلى الدورة إلى الزمن إلى الفصول المتعاقبة وكأن الرأس أصبح: مركزًا كونيًا تدور حوله الحركة وتستقر فوقه السماء.

خامسًا: الجسد بوصفه معبدًا متنقلًا في الفلسفة الرافدينية: المعبد جسدٌ مقدّس والملك تمثيل حي للنظام الكوني ولهذا لم تفصل العمارة عن الإنسان. الرأس = السماء الجسد = الأرض القدم = العالم السفلي والقبعة المخروطية: قبة محمولة تجعل الإنسان نفسه نسخة مصغّرة من الكون.

سادسًا: القبعة الإيزيدية – بقاء الرمز بعد زوال المَلك في الزي الإيزيدي التقليدي، نجد القبعة: مخروطية الشكل ملفوفة بالقماش بسيطة بلا زخرفة سلطوية وهذا التجريد ليس فقرًا في المعنى، بل تحررًا من السلطة وبقاءً للرمز. فالقبعة لم تعد: قبعة ملك بل: قبعة إنسان إنسان لا يحمل السماء بحكمه، بل بإيمانه وانتمائه الكوني. وهنا تتجلى الاستمرارية: ليس في الشكل فقط، بل في الفلسفة العميقة.

سابعًا: القماش الملفوف – الزمن الذي لا ينقطع القماش الملفوف حول القبعة ليس تفصيلًا زخرفيًا. اللفّ يعني: الاستمرارية الاحتواء عدم الانكسار وهو نفس المبدأ الذي نراه في: دوران القباب حركة الطواف، تعاقب الفصول ودورة الشمس القماش هنا: زمن يُلفّ ولا يُقطع.

ثامنًا: قباب لالش – القبعة الكبرى للأرض إذا كانت القبعة: قبةً فوق رأس الإنسان فإن قباب لالش: قبعات كونية وُضعت فوق جسد الأرض نفس الشكل نفس الصعود نفس الرمز لكن الحامل اختلف: مرة إنسان ومرة أرض مقدسة وهكذا تستمر الفكرة من سومر إلى بابل، إلى آشور، إلى لالش دون انقطاع.

أقمشة الطيف في قباب لالش: حكمة العناصر الأربعة وتجلي الجمال الإلهي داخل القباب الإيزيدية، ولا سيّما في لالش، تتدلّى أقمشة

ملوّنة، تبدو للعين العابرة مجرّد خيوط من قماش، لكنها في الوعي الإيزيدي العميق تمثل لغة رمزية كونية، تحمل في ألوانها فلسفة الخلق، وفي عقدها وحلّها سردية الزمن والتحوّل، وفي التبرك بها اعترافًا بجمال النظام الإلهي المتجلّي في الطبيعة.

هذه الأقمشة لا تختار ألوانها اعتباطًا، بل تأتي منسجمة مع ألوان الطيف السبعة، ألوان قوس قزح، ذلك القوس الذي لا يظهر إلا بعد اكتمال شروط كونية دقيقة: ماءٌ نازل من السماء، ضوءُ شمسٍ يخترق القطرات، هواءٌ يحمل الرطوبة، وأرضٌ تستقبل الفيض. هنا تكتمل العناصر الأربعة: الماء، النار (الشمس)، الهواء، والتراب، فتنتج لوحة لا يصنعها الإنسان، بل تتجلّى كـ توقيع إلهي على صفحة الطبيعة.

في الفهم الإيزيدي، لا يُنظر إلى قوس قزح كظاهرة فيزيائية فقط، بل كـ أثرٍ من آثار عضمة الخالق، ورسالة جمالٍ روحي يُرسلها إلى العالم بعد المطر، ليعلن أن التوازن عاد، وأن الحياة تتجدّد. ومن هذا المعنى وُلدت فكرة أقمشة الطيف داخل القباب، كأنها احتفاظٌ مرئيٌّ بتلك اللحظة الكونية العابرة، وتثبيتٌ رمزيٌّ للجمال قبل أن يزول من السماء.

العقد والحلّ: فلسفة الزمن والنية من الطقوس اللافتة في الزيارات الدينية، قيام الزائرين بعقد تلك الأقمشة ثم فكّها، قبل أو بعد تقبيلها. هذا الفعل ليس حركة شكلية، بل فعل رمزي عميق.

العقدة تمثل في الوعي الجمعي الإيزيدي ربط النيّة بالزمن، حبس الدعاء داخل شكلٍ مادي، كما تحبس البذرة في التراب انتظارًا للمطر. أما فكّ العقدة، فهو إعلان الثقة بانسياب المشيئة الإلهية، وترك الأمر يعود إلى حركته الطبيعية، دون قيد أو إكراه.

إنها فلسفة تقول: الإنسان يعقد أمنيته، لكن لا يقيّد القدر.

يفعل، ثم يسلّم. التقبيل والتبرك: احترام الناتج لا المادة حين يُقبّل الإيزيدي تلك الأقمشة، فهو لا يقدّس القماش بحدّ ذاته، بل يعبّر عن احترامه لما يمثله. إنّه يقبّل رمز التقاء العناصر الأربعة، ويُظهر امتنانًا للجمال الذي ينتج عنها، كما لو أنّه يقبّل قوس قزح وقد صار ملموسًا. التبرك هنا ليس طلبًا خارقًا، بل انسجامًا مع قانون الطبيعة المقدّس؛ اعترافًا بأن الخالق لا يُرى مباشرة، لكن آثاره تلمس، وتشم، وترى في الألوان، في المطر، في الضوء، وفي دورة الفصول. ولذلك يربط الإيزيديون هذا الطقس غالبًا بمواسم الأمطار والربيع، حيث تتجدّد الحياة، وتبعث الأرض من سباتها، ويعود الطيف ليذكّر الإنسان بأن الجمال جزء من نظام الخلق، لا ترفًا عابرًا. حكمة الاحتفاظ بالأقمشة داخل القباب وجود هذه الأقمشة داخل القباب،

لا خارجها، يحمل دلالة أخرى: فالقبّة في الفلسفة الإيزيدية تمثل السماء المصغّرة، والكون المحتوى، والدائرة التي تعود فيها الأشياء إلى أصلها. وعندما يُعلّق الطيف داخل القبّة، فكأنّ السماء نزلت إلى الأرض، أو أن الإنسان أدخل أثر السماء إلى قلب المكان المقدّس، ليبقى حاضرًا حتى في غياب المطر. خلاصة رمزية إن أقمشة الطيف الإيزيدية ليست زينة، ولا طقسًا فارغًا، بل نصٌّ بصريٌّ صامت، يقرأه من يعرف لغته. هي إعلان بأن الإيزيديين، حين يتبركون بها، إنما يتبركون بنتاج العناصر الأربعة في أنقى صورها، ويقبّلون أثر الجمال الإلهي حين يتجلّى في الطبيعة، ويؤمنون بأن قوس قزح ليس مجرد انكسار ضوء، بل ابتسامة الخالق بعد المطر

من قبعة ملوك سومر إلى قبعات الشعب الايزيدي

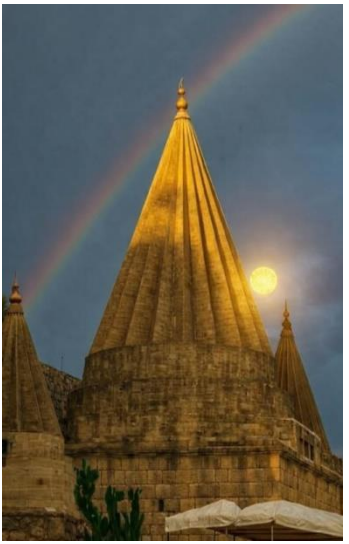

القباب الأيزيدية الجميلة في ليلها ونهارها

خاتمة الفصل القُبّة ليست حجرًا، والقبعة ليست قماشًا. كلاهما:لغة وفكرة وذاكرة، من قبعة الملك السومري، إلى قبعة الإنسان الإيزيدي، إلى قباب لالش، الرسالة واحدة: السماء ليست بعيدة... إنها فوقنا، وفينا.

الفصل العاشر: الطواف والاتجاهات الأربعة

حين يُقرأ الكون بالخطوة لا بالبوصلة

تكميلي إذا كان الدوران هو الحركة الكبرى التي تشبه حركة الأفلاك، فإن الاتجاه هو المعنى الذي يمنح هذه الحركة نظامها. فلا دوران بلا مركز، ولا طواف بلا اتجاه، ولا حركة كونية بلا توازن. الإنسان القديم لم يكن يدور عبثا، بل كان يعرف أين يضع قدمه، وكيف يواجه الجهات، ومتى يبدأ، ومتى يعود. أولًا: الجهات الأربعة في الوعي الرافديني — نظام الكون الأرضي في وادي الرافدين، لم تكن الجهات الأربعة مجرد:(شمال، جنوب، شرق، غرب) بل كانت: قوى كونية.

الشرق: موضع شروق الشمس الولادة البداية النور

الغرب: الغروب الانتقال الغياب العودة إلى الداخل

الشمال: الثبات البرودة الحكمة الصبر الجنوب: الدفء الخصوبة الحركة الحياة وحين كان الإنسان يدور، كان يعبر هذه الحالات الأربع بجسده لا بخياله.

ثانيًا: الطواف — قراءة الجهات بالجسد الطواف ليس دورانًا دائريًا فقط، بل مرورًا منظمًا عبر الجهات. كل خطوة: مواجهة اعتراف عبور وحين يكتمل الطواف: يكتمل العبور الرمزي للإنسان عبر: (النور، الظل، الثبات، التغيّر) وهكذا لا يخرج الإنسان كما دخل، حتى لو عاد إلى نفس النقطة.

ثالثا: المركز – النقطة التي لا تتحرّك لكي يكون للطواف معنى، لا بد من مركز.

في العمارة

القبة

المعبد

الحجر المقدس

وفي الجسد:

القلب

النفس

النيّة

المركز لا يدور، لكن كل شيء يدور حوله. وهذا هو سرّ التوازن: حركة حول ثبات وزمن حول معنى.

رابعًا: الاتجاه والزمن – متى يبدأ الطواف؟ لم يكن الطواف يُؤدّى في أي وقت بل ارتبط بـ:

شروق

غروب

اعتدال

انقلاب

فالزمن هنا: ليس ساعة بل لحظة كونية مناسبة وهكذا يصبح الطواف: قراءة مزدوجة للزمان والمكان معًا.

خامسًا: الطواف في الذاكرة الإيزيدية – الاتجاه كمعنى روحي في الطقوس الإيزيدية: لا تذكر الجهات كتعليمات بل تمارس ضمن الطقس.

الإنسان يتحرك، يطوف ويوجّه جسده دون أن يحتاج إلى شرح نظري. وهذا دليل: أن المعرفة هنا معيشة لا محفوظة في نص.

سادسًا: من الدوران الحرّ إلى الطواف المنظّم الدوران: حركة كونية عامة الطواف، حركة كونية مُهذّبة الدوران يعبّر عن الاندماج مع الكون والطواف يعبّر عن: فهم هذا الاندماج وضبطه وإعادته إلى التوازن وهنا نرى تطوّر الوعي: من الحركة الغريزية إلى الحركة الواعية.

سابعًا: الجهات الأربعة والفصول – الزمن يتحرّك معنا الجهات لا تنفصل عن الفصول:

الشرق = الربيع

الجنوب = الصيف

الغرب = الخريف

الشمال = الشتاء

وحين يطوف الإنسان: فهو يمرّ رمزيًا بالفصول الأربعة في دقائق معدودة. كأنه يعيد تلخيص السنة بجسده.

خاتمة الفصل: الموحّد حين يدور الإنسان، فهو يقلّد السماء. وحين يطوف وفق الجهات، فهو يفهمها. من سومر، إلى بابل، إلى لالش، ظلّ الإنسان: يدور كي لا ينفصل ويطوف كي لا يضيع وما دامت الجهات معروفة، فالطريق إلى المركز لا يُفقد.

رجل دين ايزيدى في بداية دخول لالش

الدوران والطواف: حين تتحرّك الأجساد كما تتحرّك الأفلاك

من الطقس الرافديني إلى الذاكرة الإيزيدية

لم يكن الإنسان القديم واقفًا في الكون، بل متحرّكًا داخله. كل ما حوله كان يدور:

الشمس

القمر

النجوم

الفصول

الماء

الريح

فلم يكن غريبًا أن يجعل جسده هو الآخر جزءًا من هذه الحركة الكبرى. الدوران لم يكن رقصًا، ولا ترفيهًا، بل لغة كونية صامتة يتحدث بها الجسد حين تعجز الكلمات.

أولًا: الدوران في وادي الرافدين – فهم الحركة قبل تفسيرها في حضارات سومر وأكد وبابل، لم يُنظر إلى الكون كخط مستقيم، بل كـ دائرة حيّة. الزمن: لا يبدأ ولا ينتهي بل يعود ويتجدّد ولهذا: كانت الطقوس دائرية وكانت المواكب تدور وكانت المعابد تزار بحركة لا بسكون الدوران هنا: ليس تكرارًا بل تجديدًا للصلة بين الإنسان والنظام الكوني.

ثانيًا: الطواف – السير داخل الزمن لا حول المكان الطواف في جوهره ليس دورانًا حول حجر، بل دخولًا واعيًا في مسار الزمن. حين يدور الإنسان: يخرج من الخط المستقيم ويدخل في إيقاع الكون ويتحرّر من وهم البداية والنهاية في الذاكرة الرافدينية: الطواف يعيد ترتيب العلاقة مع الشمس ومع الجهات ومع الإيقاع السنوي للفصول.

ثالثا: الجسد كأداة فلكية في الفكر القديم: الجسد ليس عائقًا للروح بل أداتها الرأس: يدور كما تدور السماء

القدم: تخطو كما تتحرّك الأرض والدوران الجسدي: يحاكي حركة الأفلاك ويعيد الإنسان إلى موقعه الطبيعي في الكون ولهذا لم يكن الطقس مجرد مشاهدة، بل مشاركة جسدية كاملة.

رابعًا: الدوران في الطقوس الإيزيدية – ذاكرة حيّة لا استحضار تاريخي في الطقوس الإيزيدية: لا نجد نصوصًا تشرح الدوران بل نجد حركة تمارس وهذا هو سرّ بقائها. الحركة: تورّث لا تفسَّر وتحفظ بالفعل لا بالشرح الدوران هنا: ليس تقليدًا بل استمرارًا لوعي كوني قديم، لم يُقطع ولم يُستبدل.

خامسًا: الاتجاه والدائرة – لماذا لا يُدار عشوائيًا؟ الدوران في الطقس القديم: له اتجاه وله زمن وله موضع لأنه مرتبط بـ:

شروق الشمس

غروبها

الاعتدال

والانقلاب

وهنا يتقاطع:

الجسد

والمكان

والزمن

في نقطة واحدة.

سادسًا: الدوران كفعل تطهير وإعادة ضبط الدوران: يفرغ الجسد من الثقل ويعيد توزيع الطاقة ويكسر الجمود في الفهم القديم: السكون موت والحركة حياة ولهذا كانت الطقوس: حركة مستمرة لا جلوسًا طويلًا ولا صمتا جامدًا الدوران: إعلان حياة.

سابعًا: من القبة إلى الطواف – تكامل الشكل والحركة

في الفصل السابق: القبة تمثل السماء الثابتة وفي هذا الفصل: الدوران يمثل السماء المتحرّكة القبة: ترى والطواف: يُعاش وهكذا يكتمل الرمز: شكل + حركة حجر + جسد ثبات + دوران.

خاتمة الفصل حين يدور الإنسان، فهو لا يهرب من الأرض، بل يتصالح معها. وحين يطوف، فهو لا يكرّر خطوة، بل يعيد اكتشاف الزمن.

من سومر،

إلى بابل،

إلى لالش،

ظلّ الجسد يتعلّم من السماء، كيف يتحرّك دون أن يضيع. وما دام الإنسان يدور، فالكون لم يغلق بابه بعد.

الفصل الحادي عاشر: الجهات الأربعة والفصول

حين يصبح المكان زمنًا

هده الصورة تتحدث عن فهم الإنسان للفصول الأربعة

الصورة موجودة بجدران لالش

لم يفصل الإنسان القديم بين المكان والزمن، ولا بين الجهة والمرحلة، ولا بين الخطوة والفصل. فالجهات لم تكن اتجاهات صامتة، بل حالات وجود، والفصول لم تكن تغيّرًا في الطقس فقط، بل تحوّلًا في الوعي والحياة. وحين قُسّم الكون إلى أربعة، لم يكن ذلك للتبسيط، بل لأن الأربعة هي أبسط صورة للاكتمال.

أولًا: الجهات الأربعة في الوعي الرافديني في حضارات وادي الرافدين، لم تكن الجهات مجرد نقاط على أفق، بل قوى تنظّم العالم.

الشرق: موضع شروق الشمس بداية النور الولادة الانبعاث الأول الجنوب، الدفء، الحركة، الخصوبة، نمو الحياة، الغرب، الغروب

التحوّل، العبور، العودة إلى الداخل، الشمال، البرودة، الثبات، الصمت، الحكمة والانتظار

وهكذا صار الوقوف في المكان فعلَ قراءةٍ للكون، لا مجرّد تموضع جسدي.

ثانيًا: الفصول الأربعة – الزمن المتحوّل كما قُسّم المكان إلى أربع جهات، قُسّم الزمن إلى أربع مراحل: الربيع: بداية الحياة، الانبعاث

الصيف: الاكتمال، القوة، الامتداد

الخريف: التحوّل، الحصاد، التهيؤ

الشتاء: السكون، التأمل، الاختزان هذه ليست توصيفات مناخية فحسب، بل لغة كونية تعبّر عن دورة الوجود نفسها.

فالإنسان: يولد (ربيع)

ينمو (صيف)

يتغيّر (خريف)

يتأمل ويتهيأ (شتاء)

ثالثا: حين يتوحّد المكان والزمان في الفهم الرافديني القديم، لم يكن هذا التقسيم منفصلًا: الشرق ↔ الربيع

الجنوب ↔ الصيف

الغرب ↔ الخريف

الشمال ↔ الشتاء

هذا الربط: نابع من حركة الشمس من طول النهار من تغيّر الضوء والحرارة وهكذا صار الكون: نظامًا واحدًا متكاملاً لا يُفهم جزء منه دون الآخر.

رابعًا: الجهة كحالة روحية لم تكن الجهة تواجه بالجسد فقط، بل بالوعي. مواجهة الشرق: استعداد للبداية

مواجهة الجنوب: انخراط في الفعل

مواجهة الغرب: قبول التحوّل

مواجهة الشمال: الصبر والانتظار

وهكذا يصبح الإنسان: مشاركًا في حركة الكون لا متفرجًا عليه

خامسًا: الفصول في الذاكرة الإيزيدية في الثقافة الإيزيدية، لم تختزل الفصول في تقويم ورقي، بل بقيت زمنًا حيًا. لكل فصل:

طقسه

إيقاعه

حالته النفسية والروحية

الفصل:

يُنتظر

ويُحتفل به

ويُودَّع

وهنا بقي الزمن: مُعاشًا لا مُقاسًا فقط.

سادسًا: لماذا أربعة؟ لأن الأربعة: أول توازن وأبسط اكتمال وأوضح نظام لا دائرة بلا أربعة اتجاهات، ولا سنة بلا أربعة فصول، ولا حياة بلا أربع مراحل كبرى. ولهذا كان هذا العدد: أساس المكان وأساس الزمن وأساس الطقس ومفتاحًا لفهم ما سيأتي بعده من أعداد أعمق (٧ و١٢).

خاتمة الفصل: حين يعرف الإنسان جهته، يعرف زمنه. وحين يفهم فصله، لا يخاف من تغيّر الأيام.

من سومر،

إلى بابل،

إلى لالش،

ظلّ الإنسان يقف في المكان ليقرأ الزمن. وهكذا بقي داخل الدورة، لا خارجها

الفصل الثاني عشر: الأعداد المقدّسة

لغة النظام الكوني

جانب من رؤية كوديا وحلمه حول بناء المعابد، منحوت على حجر صلب اسود، محفوظة في لوفر بباريس

(12 – 7 – 4)من الفكر الرافديني إلى الذاكرة الإيزيدية

لم يتعامل الإنسان الرافديني مع العدد بوصفه أداة للعدّ فقط، ولا مع الرقم كقيمة رياضية مجرّدة، بل رآه لغة خفيّة للكون، ومفتاحًا لفهم النظام الذي يحكم الحركة، والزمن، والبناء، والطقس. فالعدد لم يكن اختراعًا بشريًا، بل اكتشافًا لنظام سابق على الإنسان، نظامٍ

تديره الشمس، وتنظّمه الفصول، وتعيد تكراره الدورات الكبرى للحياة.

أولًا: العدد بوصفه قانونًا كونيًا في الفكر السومري، لم تكن القوانين منفصلة عن الأعداد.

الآلهة: تمنح القوانين وتمنح معها النّسَب والعدد

الملوك: يطبّقونها في البناء وفي تنظيم المدن وفي ضبط التقويم

الشعب: يعيشها في الطقس وفي العمل اليومي وفي إيقاع السنة وهكذا صار العدد: جسرًا بين السماء والأرض.

ثانيًا: العدد أربعة (٤) – توازن الكون الأول العدد أربعة هو: أول عدد مكتمل وأبسط صورة للتوازن يمثل: الجهات الأربعة الفصول الأربعة العناصر الأربعة (الماء، التراب، النار، الهواء) في العمارة: يقوم الأساس على أربعة اتجاهات في الطقس: يُستحضر التوازن عبر الجهات

وفي الحياة:

الولادة

النمو

التحوّل

السكون

الأربعة هو عدد الاستقرار الكوني.

ثالثا: العدد سبعة (٧) – الحركة بين المستويات السبعة ليس عدد سكون، بل عدد عبور وانتقال. في وادي الرافدين: الكواكب السبعة السماوات السبع البوابات السبع المراحل السبع للطقس وفي الذاكرة الإيزيدية: الملائكة السبعة الطواويس السبعة نظام الوساطة بين الخالق والعالم، السبعة هو عدد: الحركة الوساطة والتنظيم غير المرئي إنه عدد الديناميكية الكونية.

رابعًا: العدد اثنا عشر (١٢) – اكتمال الزمن العدد اثنا عشر: ليس رقمًا بل زمنًا مكتملًا يمثل: أشهر السنة دورات القمر اكتمال الدورة الشمسية–القمرية

ولهذا: بُنيت بعض المعابد والقباب على ١٢ أساسًا ونُظّمت الطقوس وفق هذا الإيقاع الاثنا عشر: لا يرمز للبداية ولا للنهاية بل للاستمرارية المنتظمة.

خامسًا: العدد والبناء – حين يتحوّل الرمز إلى حجر في العمارة الرافدينية: لا يُبنى شيء بلا عدد ولا عدد بلا معنى الأساسات تحسب والاتجاهات تضبط والقمم تتوَّج برمز شمسي وهكذا يصبح البناء: نصًا كونيًا صامتا يُقرأ بالشكل لا بالكلمات وهذا ما نجده مستمرًا في: قباب المعابد وقباب لالش دون انقطاع في الفلسفة.

سادسًا: العدد والجسد ، الإنسان كوحدة قياس لم يقس الإنسان القديم الكون بالمسطرة، بل بجسده.

الخطوة

الدوران

الطواف

عدد المرات

كلها: تدخل في الحساب الطقسي

فالعدد: لا يسكن الألواح فقط بل يسكن الجسد ولهذا بقي حيًا حتى بعد اندثار النصوص.

سابعًا: الأعداد في الذاكرة الإيزيدية – عيش لا شرح في الإيزيدية: لا تشرح الأعداد فلسفيًا بل تمارس الأربعة تعاش في الاتجاه السبعة توفَّر في النظام الروحي الاثنا عشر تلمَس في الزمن والطقس وهذا هو سرّ البقاء: ما يُعاش لا يندثر.

خاتمة الفصل: الأعداد ليست رموزًا صامتة، بل خرائط للوجود.

ومن فهم العدد: فهم الحركة وفهم الزمن وفهم مكانه في الكون

من سومر،

إلى بابل،

إلى لالش،

ظلّ الإنسان يعدّ... كي لا يضيع.

الفصل الثالث عشر: الشمس مركز النظام الكوني

من شمش السومري إلى شيشم في الوعي الإيزيدي

اله الشمس في السومرية

لم تكن الشمس، في وعي الإنسان الرافديني، جرمًا سماويًا يضيء النهار ويغيب في المساء، بل كانت قلب النظام الكوني، وميزان الزمن، وشاهد العدل، ومبدأ الاستمرار. كل ما تحرّك في الكون كان يُقاس بها: الفصول،

الزراعة،

الأعياد،

الطقوس،

وحتى القوانين التي تنظّم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان. وفي الثقافة الإيزيدية، لم تنقطع هذه الرؤية، بل بقيت حيّة في اللغة، وفي تسمية الأيام، وفي القسم، وفي الصيام، وفي الرمز الحجري، وفي القبر نفسه.

أولًا: شمش، الشمس بوصفها عدلًا كونيًا في سومر وبابل، لم يكن شمش إله ضوء فقط، بل كان عين السماء التي ترى كل شيء، ولا تخدع، ولا تغيب عنها الأفعال. ارتبط شمش بـ:

العدالة

الصدق

كشف الخفي

وضبط النظام الأخلاقي

فالشمس: لا تميّز بين الناس في نورها ولا تحجب ضياءها عن أحد ولهذا أصبحت رمزًا للعدل المطلق، لا للسلطة ولا للقهر.

ثانيًا: الشمس والزمن ، حين صار اليوم ابتا للشروق لم يُقَس الزمن في وادي الرافدين بالساعات، بل بحركة الشمس.

الشروق: بداية

الذروة: اكتمال

الغروب: تحوّل

العودة: وعد بالاستمرار

الغياب لم يكن موتا،

بل مرحلة في دورة.

ومن هنا وُلد مفهوم الزمن الدائري، لا الزمن المنكسر.

ثالثا: روژ وشيشم – الاسم والجوهر في الوعي الإيزيدي يسمّي الإيزيديون الشمس روژ، اسم النور الظاهر للعين، لكنهم يميّزون بينها وبين شيشم، بوصفه:

خودان الشمس

جوهر النور

ضابط الدورة الكونية

الأختام الشمسية منتشرة على طول وعرض جغرافية ميزوبوتاميا

لذلك: يُقسم بالشمس ويُقدَّس اسمها ويُحترم مسارها القسم بالشمس ليس عادة لغوية، بل استحضار لشاهد لا يكذب. رابعًا: الشمس في اللغة – تسمية الأيام ذاكرة لا تموت، من أعمق الشواهد على مركزية الشمس في الوعي الإيزيدي: تسمية أيام الأسبوع، حيث بقي اسم الشمس حاضرًا في قلب الزمن:

شەمى (السبت)

يەكشەم (الأحد)

دووشەم (الاثنين)

سێشەم (الثلاثاء)

چارشەم (الأربعاء)

پێنجشەم (الخميس)

الأعداد تتغيّر، لكن الجذر واحد: شم. وكأن اللغة تقول: الأيام كلها تدور حول الشمس، والزمن لا ينفصل عن النور.

خامسًا: الصيام للشمس – انتظار النور لا عبادته يصوم الإيزيديون للشمس، لا خوفًا منها، ولا طلبًا لرضاها، بل انتظارًا لعودتها. خصوصًا عند: أقصر أيام السنة والانقلاب الشتوي الصيام هنا: مشاركة رمزية في دورة الكون وترقّب لعودة النور وهو جوهر فكرة شيشم: النور قد يضعف، لكنه لا ينكسر.

سادسًا: الشمس في الرمز – من التاج إلى الحجر لم يكن وجود الشمس في: تيجان الملوك السومريين أساورهم أختامهم تفصيلًا زخرفيًا، بل إعلانًا واضحًا أن: السلطة يجب أن تعمل تحت نور الشمس وتحت رقابة العدل فالملك لا يحكم بقوته، بل بشرعيته الكونية.

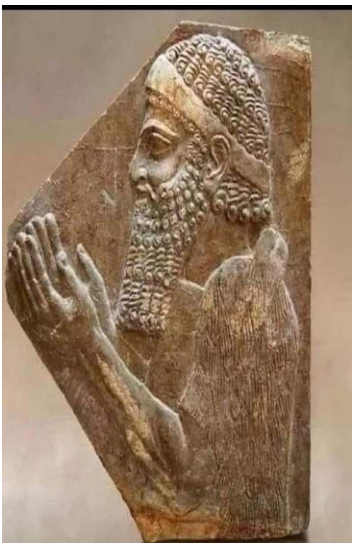

صورة لرجل في وضعية الدعاء في العراق القديم رجل ايزيدي في وضعية الدعاء.

سابعًا: الشمس في لالش والقبور – النور بعد الحياة في لالش: تحضر الشمس في القباب وفي اتجاهات البناء وفي حركة الضوء والظل دون تجسيد بشري، ودون صنمية. وحتى في تذاكر القبور الإيزيدية، يظهر رمز الشمس. ليقول: إن النور لا ينتهي بالموت، وإن الدورة لا تنكسر بالرحيل.

ثامنًا: شمش والقانون – حين يتحوّل النور إلى عدل مكتوب في ذروة الفهم الرافديني للشمس، لم تعد شمش رمزًا للنور فقط، بل أصبحت مصدر القوانين وميزان العدل. تظهر الذاكرة الحجرية مشهدًا بالغ الدلالة: الملك حمورابي واقفًا بخشوع أمام شمش، يتلقى منه القوانين لا كسلطة، بل كأمانة.

القانون هنا: ليس اختراع ملك ولا أداة قهر بل نورًا نازلًا من الشمس ليُنظّم: علاقة الإنسان بالإنسان ويحمي الضعيف من القوي ويجعل العدل مرئيًا كالشمس نفسها وأن تنقش هذه القوانين على مسلّة حجرية، فذلك يعني أن العدل: يجب أن يكون ثابتا كالحجر وواضحًا كالشمس ومتاحًا لكل من يقف في النور وكما لا تفرّق الشمس بين الناس في ضيائها، لا يجوز للقانون أن يفرّق بينهم في عدله.

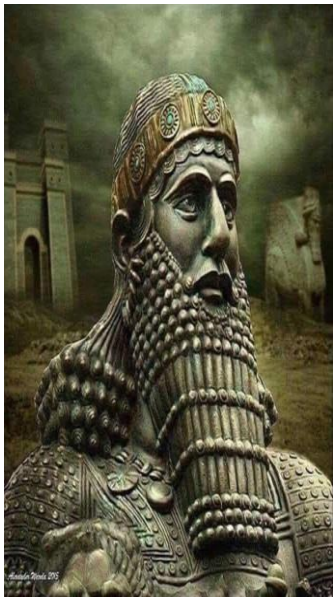

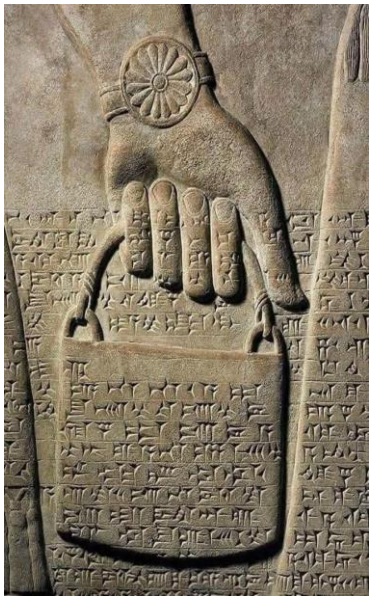

سلة البذور المقدسة

خاتمة الفصل: من شمش الذي منح القوانين، إلى شيشم الذي يحفظ ميزان النور، ومن روژ التي تسمّى في اللغة، إلى الشمس التي ترسم على القبر، بقيت الفكرة واحدة عبر آلاف السنين: أن النور هو الأصل، وأن العدل شمس، وأن الظلم لا يعيش طويلًا في الضوء. وهكذا تبقى الشمس، كما كانت دائمًا، قلب النظام الكوني، وشاهد الذاكرة التي لا تموت.

الفصل الرابع عشر: الزمن والدورة الكبرى

حين لا يسير الوقت إلى الأمام بل يعود إلى أصله

لم يفهم الإنسان الرافديني الزمن بوصفه خطًّا مستقيمًا يبدأ ثم ينتهي، ولا كعد يتقدّم بلا رجعة، بل رآه دورة حيّة، تغيب لتعود، وتضعف لتقوى، وتنحسر لتولد من جديد.

الزمن لم يكن عدوًّا للإنسان، ولا قفصًا يحصره، بل إيقاعًا كونيًا يتعلّم الإنسان كيف ينسجم معه كي لا ينكسر.

أولًا: الزمن في الوعي الرافديني – عودة لا فناء في حضارات سومر وأكد وبابل، لم يكن الموت نهاية، ولا الغياب انقطاعًا. الشمس تغيب

كل مساء وتعود كل صباح، والقمر يتناقص ثم يكتمل، والنبات يذبل ثم ينهض من التراب. ومن هذه المشاهد اليومية وُلدت فكرة: أن الزمن لا يفنى، بل يتحوّل. وهكذا لم يُفهم الزمن كقوة تدمير، بل كقانون تجدد.

ثانيًا: الدورة الكبرى – الشمس، الفصول، والحياة الدورة الكبرى للزمن تقوم على ثلاث حركات متداخلة: حركة الشمس التي تضبط: النهار السنة الاعتدال والانقلاب تعاقب الفصول

ربيع: ولادة

صيف: اكتمال

خريف: تحوّل

شتاء: سكون واستعداد

دورة الحياة الإنسانية ميلاد نمو ونضج وعودة إلى الأصل الإنسان لم يفصل نفسه عن هذه الدورات، بل رأى حياته نسخة مصغّرة عن حركة الكون الكبرى.

ثالثا: الانقلابان والاعتدالان – مفاصل الزمن لم تكن لحظات:

الانقلاب الصيفي

الانقلاب الشتوي

الاعتدال الربيعي

الاعتدال الخريفي

محطات فلكية صامتة، بل مفاصل مقدسة في الزمن.

فيها: يتساوى الليل والنهار أو يبلغ أحدهما ذروته وهنا يشعر الإنسان أن الكون كلّه قد توقف لحظة ليعيد ضبط نفسه.

ولهذا ارتبطت هذه الأيام:

بالأعياد

بالصيام

وبالطقوس

لأنها لحظات تحوّل لا تهمل.

رابعًا: الزمن والطقس – المشاركة لا المشاهدة في الوعي القديم، لم يكن الطقس احتفالًا بالزمن، بل مشاركة فيه.

الصيام

الإيقاد

الانتظار

الدوران

كلها أفعال: لا تشرح الزمن بل تعيشه فالطقس: يعيد الإنسان إلى قلب الدورة ويمنعه من الوقوف خارجها وهكذا لا يشعر الإنسان أنه ضحية الوقت، بل شريك فيه.

خامسًا: الزمن في الذاكرة الإيزيدية – عودة النور في الثقافة الإيزيدية، لم يُنظر إلى أقصر أيام السنة بوصفه موت الشمس، بل

امتحان صبر للنور. يغيب الضوء إلى حدّه الأدنى، ثم يبدأ بالعودة. وهذا هو جوهر الإيمان بالدورة: ما يضعف لا يموت، وما يغيب لا ينتهي. الزمن هنا: ليس تهديدًا بل وعدًا ولهذا بقيت الطقوس تنتظر ولا تيأس.

سادسًا: الدائرة مقابل الخط – فلسفتان للحياة الزمن الخطي: يبدأ، يتقدّم، ينتهي

وغالبًا: يُخيف ويُقصي ويصنع القطيعة

أما الزمن الدائري: يعود يتجدّد ويمنح الأمل ولهذا كانت الحضارات القديمة أكثر تصالحًا مع: الموت الشيخوخة والتغيّر لأنها رأت فيها مراحل لا نهايات. سابعًا: الزمن كذاكرة لا كعدّ حين يُفهم الزمن كذاكرة: لا يُقاس فقط بل يُحفظ، الطقس يحفظه اللغة تحمله والرمز يثبّته في الحجر. وهكذا لا يضيع الزمن، حتى لو لم يُكتب.

خاتمة الفصل: الزمن لا يسير إلى الأمام، بل يدور حول معنى. ومن فهم دورته، لم يعد يخاف تغيّره.

من سومر، إلى بابل، إلى لالش،

تعلّم الإنسان أن ينتظر النور لأنه يعرف أنه سيعود. وبهذا الفهم، لا يصبح الزمن خصمًا، بل رفيق طريق.

الفصل الخامس عشر: الطقس بوصفه ذاكرة حيّة

لماذا بقيت الإيزيدية بلا كتاب وبقيت حيّة؟

لوحة لعبد لالش قبل ضهور الفوتوغراف من قبل مستشرقين

ليست كل ذاكرة تحفظ بالحبر،ولا كل معرفة تحتاج إلى كتاب. في وادي الرافدين، وقبل أن تكثّف النصوص على الألواح، كان الإنسان يعرف أن الطقس أقدم من الكتاب، وأن الجسد أصدق من الصفحة، وأن ما يُعاش لا يحتاج إلى تفسير طويل كي يبقى. وهكذا لم تكن الطقوس مجرّد شعائر، بل نظامًا للذاكرة، يُعاد تمثيله كي لا يضيع.

أولًا: ما هو الطقس؟ الطقس ليس احتفالًا، ولا مسرحًا، ولا تكرارًا بلا معنى.

الطقس هو: معرفة تمارَس وزمن يُعاد وذاكرة تستحضَر بالفعل حين يُؤدَى الطقس: لا يُروى الماضي بل يعود ولهذا كان الطقس أكثر مقاومة للنسيان من أي نص مكتوب.

ثانيًا: لماذا لا يُكتب الطقس؟ لأن الطقس: يُفقد معناه إن قُرئ ويكتمل معناه إن عُيش.

النص: ثابت وجامد، قابل للتأويل المتناقض أما الطقس: حي وجماعي، محكوم بإيقاع الكون ولهذا لم تحتج الإيزيدية إلى كتابٍ مُلزِم، لأن كتابها كان: الجبل والشمس والدورة والجسد الإنساني نفسه.

ثالثا: الجسد كوعاء للذاكرة في الطقس: الجسد يتذكّر والذاكرة تتحرّك الوقوف الانحناء الدوران الصيام الانتظار كل حركة: تحفظ معنى وتنقل معرفة من جيل إلى جيل وهكذا يصبح الإنسان: كتابًا يمشي لا صفحة تقرأ.

رابعًا: الطقس والزمن – مقاومة الانقطاع الطقس لا يُؤدّى في أي وقت، بل في:

شروق

غروب

انقلاب

اعتدال

وهذا الربط بالزمن الكوني يجعل الطقس: أقوى من الحدث السياسي وأطول عمرًا من السلطة فحتى لو تغيّر الحكّام، تبقى الشمس تشرق، ويبقى الطقس يعود.

خامسًا: الطقس في الإيزيدية – عيش لا شرح في الإيزيدية: لا تشرح الطقوس نظريًا ولا تفرض بنص بل:

تورّث

وتمارَس

وتفهَم بالعيش

ولهذا بقيت الطقوس: متماسكة وغير متحجرة وقادرة على الاستمرار لأنها لم تحبس في نص، بل بقيت جزءًا من الحياة اليومية.

سادسًا: الطقس بوصفه حماية للهوية حين تستهدف جماعة: يُستهدف طقسها أولًا

ثم لغتها

ثم ذاكرتها

لكن الطقس: لا يمكن مصادرته بسهولة ولا يُحرق ولا يُمنع بالكامل يمكن أن يُؤدّى سرًا أو علنًا، في الجبل أو في المنفى. ولهذا كان الطقس أقوى أسلحة البقاء.

سابعًا: لماذا صمد الطقس الإيزيدي؟ لأنه: مرتبط بالطبيعة لا بالمؤسسة وبالشمس لا بالسلطة وبالزمن لا بالحدث ولأنه: لا يحتاج وسيطًا ولا يتطلب نصًا ولا يُغلق على تفسير واحد فكل جيل: يؤدّيه ويفهمه بما يكفيه للاستمرار.

ثامنًا: من الطقس إلى الرمز — حين يصمت الحجر حين يُعاد الطقس آلاف المرات، يتحوّل مع الزمن إلى:

رمز

وإشارة

وأثر مادي

وهنا تبدأ الذاكرة: بالخروج من الجسد

إلى الحجر

إلى الفخار

إلى الشكل

الفصل السادس عشر: صحن سامراء التقويم الطيني للدورة الكونية

قراءة فلكية–زمنية في أقدم ذاكرة صامتة

صحن سامراء عندما يكون تقويما فلكيا وروحيا ودينيا

ليس كل فخارٍ إناءً،ولا كل زخرفةٍ للزينة، ولا كل صمتٍ فراغًا. في بعض الأحيان، يختار الإنسان أن يكتب الزمن بالطين، حين يعجز الصوت عن البقاء، وحين لا يثق بالكلمات وحدها.

صحن سامراء: ليس تحفة فنية معزولة عن سياقها، بل وثيقة زمنية، تقدّم فهمًا مبكرًا للدورة الكونية، وتكشف أن الإنسان الرافديني لم يكن يراقب الزمن فقط، بل ينظّمه ويعيد تمثيله.

أولًا: الدائرة – الشكل الوحيد القادر على حمل الزمن أول ما يواجهنا في صحن سامراء هو الدائرة الكاملة.

الدائرة:

بلا بداية

بلا نهاية

بلا انكسار

وهي الشكل الوحيد القادر على تمثيل:

الزمن

السماء

الحركة المستمرة اختيار الدائرة لم يكن جماليًا، بل فلسفيًا: الزمن لا ينتهي... بل يعود. الصحن هنا ليس سطحًا، بل خريطة زمنية.

ثانيًا: الحافة الخارجية – الثلاثون يومًا عند التأمل في حافة الصحن، نلاحظ تكرارًا منتظمًا لوحدات زخرفية صغيرة. هذا

التكرار، حين يُقرأ خارج منطق الزخرفة، يكشف دلالة عميقة: ثلاثون وحدة = ثلاثون يومًا وهو: عدد أيام الشهر القمري وعدد الأيام الذي اعتمدته أغلب التقويمات القديمة الحافة تمثل: الزمن اليومي الإيقاع الثابت مرور الأيام دون توقف وكأن الصحن يقول: اليوم يمرّ... لكن الشهر يُغلق الدائرة.

ثالثا: التقسيم الداخلي – اثنا عشر شهرًا داخل الدائرة الكبرى، نجد تقسيمًا منتظمًا يمكن قراءته بوصفه اثني عشر قطاعًا. وهذا يقودنا إلى: أشهر السنة والدورة الشمسية الكاملة الاثنا عشر هنا: ليست رقمًا عشوائيًا بل زمنا مكتملًا وبهذا يصبح الصحن: تقويمًا سنويًا لا مكتوبًا بالأرقام بل مرسومًا بالحركة.

رابعًا: الأسماك – الحياة التي تدور ولا تنقرض في مركز الصحن، تتحرك الأسماك في مسار دائري. السمك في وادي الرافدين: رمز الماء رمز الخصب رمز الاستمرار لكن الأهم: أنها تدور. الحياة هنا: لا تتقدّم بخط مستقيم ولا تختفي بالموت بل: تتحوّل وتعود وتبدأ من جديد. خامسًا: الجهات الأربعة – تنظيم المكان داخل الزمن عند قراءة الصحن قراءة رمزية–فلكية، نجد أن حركته الداخلية تنسجم مع الجهات الأربعة: الشرق: بداية الضوء

الجنوب: الاكتمال والدفء

الغرب: التحوّل والعبور

الشمال: السكون والانتظار

وهكذا يجتمع: المكان مع الزمن داخل شكل واحد. الصحن لا يمثل السنة فقط، بل العالم كما يُرى من مركزه.

سادسًا: الفصول الأربعة – الزمن حين يتنفس الجهات الأربعة تقابلها

الفصول الأربعة: الربيع: ولادة

الصيف: اكتمال

الخريف: حصاد وتحول

الشتاء: سكون واستعداد

الصحن هنا لا يشرح الفصول، بل يختصرها بصمت. وكأن من صنعه كان يعرف أن: من يفهم الدورة لا يحتاج شرحًا طويلًا.

سابعًا: العناصر الأربعة – الفلسفة الكونية المضمرة في قراءة أعمق، يجمع الصحن بين العناصر الأربعة:

الماء: الأسماك

التراب: الطين

النار: التحويل إلى فخار

الهواء: الحركة والدوران

وهذا يعني أن الصحن نفسه: خلق بالعناصر الأربعة ويمثلها ويحفظ توازنها إنه كون مصغر بين يدي الإنسان.

ثامنًا: الطين والنار – الإنسان في الصحن الطين الذي صُنع منه الصحن هو أصل الإنسان، والنار التي حوّلته هي التجربة. كما الإنسان:

يُخلق

يُختبر

ثم يترك أثرًا الصحن لا يحفظ الزمن فقط، بل يحفظ سيرة الوجود.

تاسعًا: لماذا يُعد هذا التأويل اكتشافًا؟ لأن صحن سامراء: لم يُقرأ سابقًا كتقويم متكامل بل كزخرفة أو رمز غامض أما هذه القراءة: فتجمع بين العدد:

الفلك

الزمن

الطقس

والدورة الكونية وتضع الصحن في مكانه الحقيقي: أقدم تقويم رمزي كُتب بالطين قبل أن يُكتب بالحروف. وهذا التأويل هو رؤية الباحث علو خلف شرف، الذي أعاد قراءة الصحن من داخل ثقافة الدورة، لا من خارجها.

واحد من أهم القرائآت في صحن سامراء هو التقويم الذي يصادف مناسباتنا العقائدية والقومية وينقسم إلى ٤ اقسام أو أجزاء ومنها:

١٢/٢١ يصادف الانقلاب الشتوي ومناسبة عيد صيام شيشم أو رۆژيت ئێزى .

٣/٢١ يصادف الاعتدال الربيعي ومناسبة عيد نوروز.

٦/٢١ يصادف الانقلاب الصيفي ومناسبة دخولنا اول ايام مربعانية الصيف .

٩/٢١ يصادف الاعتدال الخريفي ومناسبة بدء الزيارات الدينية إلى المعابد وبدء الاحتفالات الدينية.

التاريخ	الظاهرة الفلكية	يصادف المناسبة الدينية \القومية
١٢\٢١	الانقلاب الشتوي	عيد الصيام
٣\٢١	الاعتدال الربيعي	عيد نوروز
٦\٢١	الانقلاب الصيفي	بداية المربعانية الصيف
٩\٢١	الاعتدال الخريفي	موسم الزيارات (جمايا)

خاتمة الفصل:

صحن سامراء ليس إناءً للطعام، بل وعاء للزمن. ليس زخرفة، بل ذاكرة كونية صامتة. ومن يفهمه، لا يعود يرى الزمن كعدو، بل كدائرة تحمله كما يحملها. وبين الطين والنار، ترك الإنسان الرافديني رسالته الأصدق: الزمن لا ينكسر... إنه يدور

الفصل السابع عشر: الذاكرة التي لم تنكسر

الإيزيديون بوصفهم استمرارية حضارية لا بقايا تاريخ

أوجه التشابه بين الشعب الايزيدي والشعب القديم

ليست كل الشعوب التي بقيت قد انتصرت، وليست كل الشعوب التي انكسرت قد اندثرت. هناك شعوب لم تنتصر بالسيف، ولم تخلّد بالإمبراطوريات، لكنها بقيت لأنها حملت الذاكرة بطريقة لا تكسَر. الشعب الإيزيدي واحد من هؤلاء.

أولًا: ما معنى البقاء؟ البقاء لا يعني: كثرة العدد ولا اتساع الأرض ولا حضور السلطة البقاء الحقيقي يعني: أن يبقى المعنى وأن تستمر

الدورة وأن لا ينقطع الخيط بين الماضي والحاضر والإيزيديون لم يبقوا لأنهم حموا أنفسهم بالقوة، بل لأنهم فهموا الزمن.

ثانيًا: الذاكرة بوصفها دورة لا سردًا في هذا الكتاب، لم تقرأ الذاكرة بوصفها قصة خطية تبدأ وتنتهي، بل بوصفها دورة حيّة.

اللغة

الطقس

الشمس

القبّة

الطواف

العدد

وصحن سامراء

كلها لم تكن موضوعات منفصلة، بل وجوهًا لوعي واحد يرى أن: ما يغيب يعود، وما ينكسر يتحوّل، وما يُنسى يعود في شكل آخر.

ثالثا: الإيزيدية – دين بلا كتاب أم ذاكرة بلا انقطاع؟ كثيرًا ما سُئل الإيزيديون: أين كتابكم؟ وكان الجواب، دون أن يُقال صراحة:

في الجبل

في الشمس

في الدورة

في الطقس

وفي الجسد الإنساني الكتاب قد يُحرَق، لكن الطقس لا يُحرق. النص قد يُحرَّف، لكن الشمس لا تحرَّف. ولهذا بقيت الإيزيدية لا لأنها بلا كتاب، بل لأنها أقدم من الكتاب.

رابعًا: الإبادة – محاولة كسر الزمن كل إبادة لا تستهدف الإنسان وحده، بل تستهدف: لغته، طقسه، ذاكرته وزمنه.

الإيزيديون تعرّضوا لمحاولات متكررة لإخراجهم من الدورة، ودفعهم إلى النسيان. لكن ما لم يفهمه الجلادون: أن من يعيش الزمن كدائرةلا يمكن اقتلاعه بضربة واحدة.

خامسًا: من سومر إلى شنكال – خط لم ينقطع هذا الكتاب لم يُكتب لإثبات نسب عرقي، ولا لتقديس الماضي، ولا للمفاضلة بين الشعوب. بل كُتب ليقول بهدوء: إن هناك خطًا معرفيًا وروحيًا بدأ في وادي الرافدين ولم ينقطع في لالش. ليس لأن الإيزيديين نسخة عن السومريين، بل لأنهم ورثة فهم لا ورثة أسماء.

سادسًا: صحن سامراء بوصفه شاهدًا أخيرًا في صحن سامراء رأينا كيف يمكن للذاكرة أن تختزن في طين، وتبقى آلاف السنين دون أن تنطق. وهذا هو حال الإيزيديين: لم يصرخوا دائمًا ولم يكتبوا كثيرًا لكنهم بقوا كما بقي الصحن ينتظر من يقرأه.

سابعًا: لماذا هذا الكتاب؟ هذا الكتاب ليس دفاعًا سياسيًا، ولا خطاب مظلومية، ولا حنينًا رومانسيًا. هو محاولة صادقة لإعادة قراءة:

الذاكرة

الزمن

والهوية

من داخل الفهم الرافديني لا من خارجه. وهو دعوة لرؤية الإيزيديين لا كضحايا فقط، بل كـ حَمَلة معرفة قديمة لا تزال صالحة للإنسان الحديث.

واخيرآ: حين تفهم الزمن كدائرة، لا تخاف من السقوط، لأنك تعرف أن الأرض ستدور بك من جديد. وحين تحمل الذاكرة في الطقس، لا تخشى ضياع الكتاب، لأن الشمس ستعلّم أبناءك متى يقفون ومتى ينتظرون. الإيزيديون لم يكونوا بقايا حضارة، بل استمرارية معنى.

ومن سومر،

إلى سامراء،

إلى لالش،

إلى شنكال،

بقي الخيط مشدودًا، وبقيت الذاكرة تدور، دون أن تنكسر.

الفصل الثامن عشر: القوّالون وكأس الفوّار

امتداد الكالو السومري وديناميكية نشر المعرفة في الإيزيدية

أوجه التشابه بين أبناء الشعب الايزيدي والشعوب القديمة

لم تكن المعرفة في وادي الرافدين حبيسة المعبد، ولا حكرًا على الكاهن المقيم، ولا نصًا يُقرأ في مكان واحد. كانت المعرفة تسير، وتتنقّل، وتحمَل من مكان إلى آخر، كي لا تموت. وفي الإيزيدية، لم ينقطع هذا الفهم، بل تجسّد في القوّالين، رجال الدين المتجوّلين، الذين لم يكونوا وعّاظًا فقط، بل حَمَلة ذاكرة. أولًا: من الكالو

السومري إلى القوّال الإيزيدي في الحضارات السومرية والبابلية، كان الكالو هو: الكاهن المُنشد حافظ الأناشيد المقدسة ناقل المعرفة الشفوية وسيط بين الطقس والجمهور لم يكن الكالو يقرأ من لوح فقط، بل يُنشِد، ويكرّر، ويُعيد الإيقاع، لأن المعرفة التي تغنّى تحفظ أطول من المعرفة التي تقرأ. وهذا الدور، بجوهره، انتقل في الإيزيدية إلى القوّالين. ليس بالاسم فقط، بل بالوظيفة والروح.

ثانيًا: القوّالون — رجال دين في حركة لا في إقامة القوّال الإيزيدي:لا ينتظر الناس أن يأتوا إليه بل يذهب هو إليهم يحمل: الأقوال الأناشيد والقصص المقدسة، التذكير بالدورة والطقس. القوّال هنا ليس خطيبًا، بل ذاكرة تمشي على قدمين. وهذا جوهر الفلسفة القديمة: المعرفة التي لا تتحرّك... تذبل.

كاس الحكمة التي لاتفارق الطاؤوس في ترحالها بين الأقاليم الأيزيدية

ثالثا: كأس الفوّار – الوعاء الذي لا يجب أن يسكن كأس الفوّار ليس إناءً للشرب، ولا رمزًا شكليًا، بل وعاء للبركة والمعرفة. وجوده في مكان واحد طويلًا يُفرغه من معناه. لذلك: يجب أن يتجوّل ويُحمل ويُرى ويُشارك كما كانت: الأواني المقدسة في وادي الرافدين لا تحبس في قدس الأقداس فقط بل تظهر في المواسم الكأس هنا: يشبه الشمس لا تضيء مكانًا واحدًا بل تدور.

رابعًا: الطاووس (السنجق) – الرمز المتحرّك يرافق القوّالين السنجق (الطاووس)، وليس ذلك للزينة أو الهيبة.

الطاووس: رمز النور، رمز التعدد في الوحدة، رمز الحركة بين العوالم وحين يتجوّل السنجق: لا ينتقل معدن بل تنتقل فكرة أن: النور لا يُحتكر، والمعرفة لا تحبس.

خامسًا: سبعة أقاليم – الجغرافيا بوصفها طقسًا لم يكن تجوال القوّالين عشوائيًا، بل منظمًا وفق سبعة أقاليم/مناطق إيزيدية كبرى، منها على سبيل المثال: بعشيقة وبحزاني، شنكال، لالش، حلب، أرمينيا، هكاري وخالتا / تبريز

الأقاليم الأيزيدية السبعة قبل أن تتغير ديمغرافيتها

وهذا العدد (سبعة): ليس إداريًا بل كونيًا يرمز إلى: الكواكب السبعة الملائكة السبعة مستويات التنظيم الروحي فالتجوال هنا: إعادة تمثيل للنظام الكوني على الأرض.

سادسًا: القوّال بوصفه تقويمًا حيًا حين يصل القوّال إلى منطقة: يعرف الناس الزمن ويتذكّرون الطقس ويُعاد ترتيب الإيقاع القوّال: لا يخبرهم فقط بل يضبط الدورة كما تفعل: الشمس أو الطقس أو العيد ولهذا كان غيابه طويلًا علامة خلل، وحضوره علامة انتظام.

سابعًا: لماذا نجا هذا النظام؟ لأن: لا يعتمد على كتاب ولا على سلطة سياسية ولا على بناء ثابت بل على: الحركة الصوت الذاكرة

الجماعية وحين تعرّض الإيزيديون للإبادة، انكسرت البيوت، لكن القوّال بقي.

ثامنًا: القوّالون اليوم مسؤولية الاستمرار في زمن الحداثة، لم يعد التجوال سهلًا، ولا الصوت مسموعًا كما كان. لكن جوهر الدور لم يسقط. القوّالون اليوم ليسوا بقايا ماضٍ، بل مفتاح مستقبل. إن توقف التجوال: سكنت الذاكرة وإن سكن السنجق: خبا الرمز.

القوالون الأيزيديون امتداد للكالو السومريين وهم يؤدون الطقوص الدينية

خاتمة الفصل: القوّال ليس رجل دين فقط، بل جسرًا بين الأزمنة. وكأس الفوّار ليس إناءً، بل ذاكرة متنقّلة. ومن الكالو السومري إلى القوّال الإيزيدي، لم تنقطع السلسلة، بل غيّرت لغتها. ما دام الصوت يُنشَد، وما دام الكأس يتحرّك، وما دام الطاووس يُرافق، فالذاكرة لن تسكن ولن تموت...

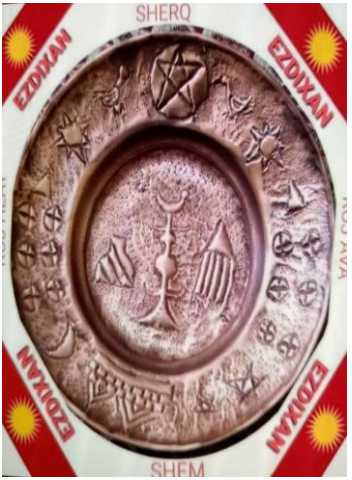

الفصل التاسع عشر: الملك جوديا (كوديا / خوديا)

الملك الذي حمل الحكمة كما يحمل النهر مجراه

الملك كوديا حيث الحكمة وليس العنف

في تاريخ وادي الرافدين، قلّة هم الملوك الذين لم يُخلَّدوا بالسيف، ولا بالفتوحات، ولا بالدمار. ومن بين هؤلاء يبرز جوديا، ملك لگش، بوصفه نموذجًا فريدًا: ملكًا يحمل بيديه الماء لا السلاح، ويقدّم نفسه كخادم للحكمة لا سيّدًا على الناس.

أولًا: جوديا – الملك الذي لم يتوَّج بالعنف لم تصوِّرنا تماثيل جوديا واقفًا في وضعية قهر، ولا ممسكًا بسلاح، بل جالسًا أو واقفًا بخشوع

واضح، يحمل بين يديه كأسًا/إناءً مقدسًا. هذه الصورة وحدها كافية لتخبرنا أن: السلطة هنا ليست عسكرية بل معرفية–روحية جوديا لم يكن فاتحًا، بل منظّمًا، ومُعيدًا للانسجام بين الإنسان، والمعبد، والطبيعة.

ثانيًا: الكأس الفوّار – النهران بوصفهما حكمة الإناء الذي يمسكه جوديا ليس رمزًا زخرفيًا، بل كأسًا فوّارًا تنبثق منه المياه على جانبيه. هذا المشهد يُقرأ بوصفه: دجلة والفرات أو مبدأ الماءين العظيمين أصل الحياة في بلاد ما بين النهرين الماء هنا: لا يتدفّق بعنف ولا يُسكب قهرًا بل ينساب بحكمة وانتظام وكأن جوديا يقول: الحُكم الصالح هو الذي يجعل الماء يجري دون أن يُغرق الأرض.

ثالثا: الماء والحكمة – الجريان الذي لا ينتهي في الفكر الرافديني، الماء ليس مادة فقط، بل معرفة متحركة. فكما أن النهر: لا يتوقف ولا يعود إلى الوراء لكنه يستمر كذلك الحكمة: لا تمتلك ولا تحتكر بل تدار وتصان جوديا لا يشرب من الكأس، ولا يحتفظ به، بل يحمله.

أي أنه: ليس مالك الحكمة بل حارس مجراها رابعًا: مكانة جوديا بين الآلهة – الملك الوصي تذكر النصوص السومرية أن جوديا لم يحكم باسم نفسه، بل بوصفه: مختارًا أو موصىً عليه من قبل الآلهة خصوصًا في بناء المعابد وتنظيم المدينة. وهذا يعيدنا إلى فكرة

محورية في الكتاب: الآلهة تمنح القوانين، والملوك يطبّقونها، والشعب يعيشها. جوديا هو الملك الذي فهم هذه السلسلة ولم يحاول كسرها.

خامسًا: الاسم – من جوديا إلى خودا / God اسم جوديا (Gudea) ليس مجرد اسم علم تاريخي، بل يحمل جذرًا دلاليًا عميقًا. نلاحظ تحوّلات صوتية ودلالية لافتة: جوديا / كوديا / خوديا، God في الإنكليزية، Gott في الألمانية خودا (Khoda) في الفارسية خودي / خودێ في الإيزيدية لسنا هنا أمام ادّعاء لغوي قاطع، بل أمام أثر ذاكرة لغوية عميقة، حيث تحوّل الاسم: من دلالة على:

الحكمة

والتنظيم

والقداسة

إلى: اسم عام للإله أو المبدأ الأعلى وهذا التحوّل يُفهم ضمن سياق: انتقال المفاهيم لا انتقال الكلمات فقط.

سادسًا: جوديا والقوّال والكأس، استمرارية الفكرة حين نربط جوديا: بالكأس الفوّار وبجريان الحكمة وبحراسة النظام نجد صدى واضحًا في القوّال الإيزيدي وكأس الفوّار المتنقّل وضرورة عدم سكون الرمز الفكرة واحدة: المعرفة إن توقّفت فسدت، وإن جرت بقيت حيّة. (وهذا تماماً تتفق عليه الثقافة الأيزيدية الحالية، حيث يعزز

ذلك الاعتقاد أيضا بأن هناك مثل حي لازالوا يتداولونه المجتمع الأيزدي بقولهم أن المياه الجارية تبقى حية وان ركدت أو توقفت فسدت، (ئاڤ چەندێ دگوّلا دە دمینێ گەنی دبێ))

سابعًا: لماذا جوديا مهم في هذا الكتاب؟ لأن جوديا: ليس رمز سلطة بل رمز حكم رشيد قديم ولأنه يمثل لحظة توازن بين الإله والملك والطبيعة وهي نفس الفلسفة التي بقيت حيّة في الذاكرة الإيزيدية دون أن تكتب.

خاتمة الفصل: جوديا لم يكن ملكًا عابرًا، بل اسمًا يحمل معنى. والكأس الذي حمله لم يكن إناءً، بل نهرين وحكمة. ومن لگش إلى سامراء إلى لالش. بقيت الفكرة واحدة: الحُكم الحق هو أن تجعل الحياة تجري دون أن تنقطع. وما دام الماء يجري، وما دامت الحكمة لا تحتكر، فإن الاسم، مهما تغيّر نطقه، لا يموت.

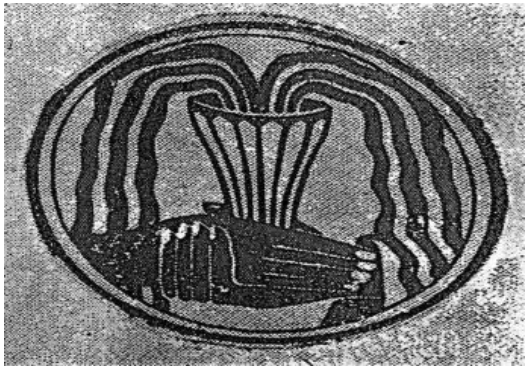

يضهر كأس الحكمة المتنقلة واللامتناهية تجري كما نهري دجلة والفرات

الفصل العشرين :الجوهر والمعنى من لكش إلى لالش في القياسات السماوية

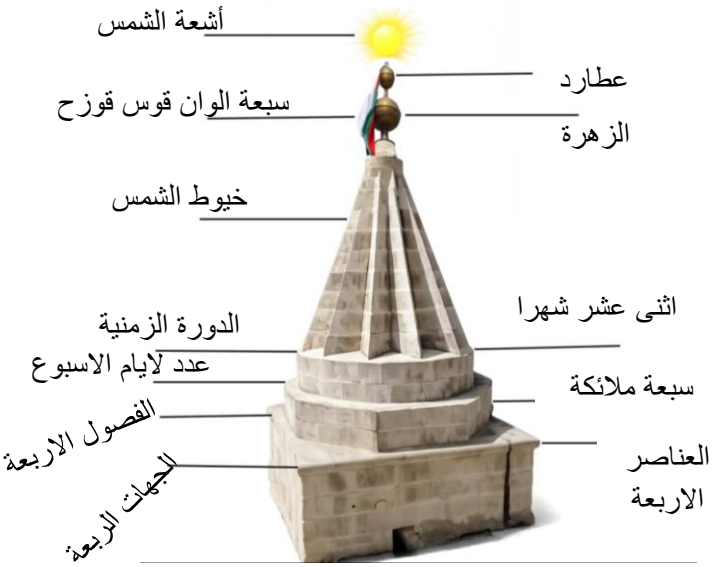

عندما يبني المعابد على أسس قياسات سماوية

ليست المعابد في حضارات وادي الرافدين نتاج مهارة هندسية بشرية فحسب، بل ثمرة رؤية كونية ترى في البناء فعلًا مقدسًا، وفي الحجر لغةً تتلقى أوامرها من السماء. ومن بين أعمق الشواهد التي وصلتنا

عن هذا الفهم، تبرز أسطوانة گوديا **(نحو ٢١٠٠ ق.م)، بوصفها وثيقة نادرة تكشف لحظة التقاء الإنسان بالمعرفة السماوية، حيث لا يُقدَّم الحاكم كمهندس مستقل، بل كمتلقّ لرؤية عليا تمنح له عبر كائن نوراني.**

گوديا: **الحاكم–الكاهن لم يكن** گوديا، **حاكم مدينة** لگش **السومرية، ملكًا بالمعنى العسكري المتغطرس، بل يظهر في نصوصه وتماثيله بوصفه حاكمًا زاهدًا، كاهنًا بنّاءً، يرى نفسه خادمًا للنظام الكوني. في تماثيله الشهيرة، يجلس** گوديا **حاملاً لوحًا حجريًا منقوشًا عليه مخطط معماري، وعلى ركبتيه أداة القياس (المسطرة والحبل)، في إشارة واضحة إلى أن العمارة هنا علم مقدس، لا قرارًا اعتباطيًا. هذا المشهد وحده يكفي ليخبرنا أن المعبد السومري لم يُبنَ وفق ذوق بشري، بل وفق مقاييس منزلة. الرؤيا: لقاء الكائن النوراني.**

تروي أسطوانة گوديا **أن الحاكم رأى في حلمه/رؤياه كائنًا مهيبًا، مشرقًا، يفوق البشر حجمًا ونورًا. هذا الكائن – الذي تذكره النصوص بوصفه رسولًا إلهيًا – لم يمنحه أوامر لفظية فقط، بل قدّم له مخططًا عمرانيًا كاملًا لبناء المعبد، محددًا:**

الأبعاد

الاتجاهات

النّسب

العلاقة بين الأرض والسماء

هنا لا نتحدث عن "إله أسطوري" بالمعنى الساذج، بل عن مفهوم سومري عميق: المعرفة لا تخترَع، بل تمنَح.

الهندسة السماوية: قياسات ليست أرضية النص لا يكتفي بالقول إن المعبد بُني بأمر إلهي، بل يشير بوضوح إلى أن القياسات نفسها سماوية.

فالزوايا، والاتجاهات، ونسب الارتفاع إلى القاعدة، كلها مرتبطة بحركة: الشمس، القمر، الكواكب والفصول

المعبد ليس مبنى، بل مرصد كوني متجسّد. وكل حجر فيه هو ترجمة لقانون فلكي. المعبد كنقطة التقاء في فكر گوديا، المعبد هو:

نقطة التقاء السماء بالأرض ومكان عبور النور إلى العالم السفلي ومركز توازن بين الإنسان والكون ولهذا لم يكن اختيار موقع المعبد اعتباطيًا، بل خاضعًا لعلامات ورموز فلكية، وكأن المدينة كلها تبنى حول قلب سماوي نابض.

من لگش **إلى لالش: استمرارية الرؤية عند تأمل العمارة الدينية الإيزيدية، وخصوصًا لالش، لا يمكن تجاهل هذا الامتداد العميق للفكرة نفسها: القبة المخروطية: رمز الشمس والنور الصاعد الاتجاهات المقدسة البناء الطبقي الصاعد من الأرض إلى العلو القدسية المرتبطة بالمكان لا بالمادة كلها تعكس المفهوم ذاته الذي حمله** گوديا: **البناء طقس كوني، لا فعل دنيوي. الكائن النوراني:**

قراءة رمزية إن الكائن الذي ظهر في رؤيا گوديا **يمكن فهمه بوصفه: عقلًا كونيًا وعيًا أعلى أو حاملًا لقوانين الكون ليس المهم شكله، بل وظيفته: نقل المعرفة من مستوى غير مرئي إلى الواقع المادي. وهذا المفهوم نجده حيًا في الذاكرة الإيزيدية، حيث تنسب المعرفة الأولى دائمًا إلى مصدر نوراني سابق على الإنسان. العمارة كذاكرة أسطوانة** گوديا **ليست نصًا دينيًا فقط، بل وثيقة ذاكرة.**

احد المزارات القديمة للديانة الأيزيدية

ذاكرة تقول إن الإنسان القديم: لم يفصل بين العلم والدين لم يعزل الفلك عن الحجر ولم يرَ نفسه مركز الكون، بل جزءًا من نظامه ولهذا بقيت آثارهم صامدة، لأنها بُنيت وفق قوانين لا تتغيّر. خلاصة الفصل تكشف أسطوانة گوديا **أن فكرة المعبد بوصفه بناءً سماوي الأصل تعود إلى أعماق الحضارة السومرية، وأن الهندسة لم تكن فنًا بشريًا خالصًا، بل لغة كونية تترجم على الأرض.**

ومن لگش **إلى لالش، تستمر هذه الرؤية، لا كنقل حرفي، بل كوراثة فكرية وروحية، تؤكد أن الذاكرة الرافدينية لم تنقطع، بل تغيّرت لغتها وبقي جوهرها.**

أسطوانة گوديا والرؤية السماوية:

حين منحت السماءُ مخطط الأرض

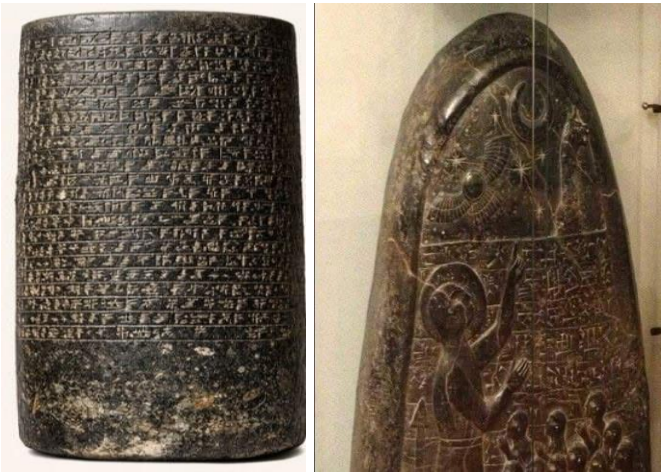

واحدة من اثنتين من اسطوانات محفوظة في متحف لوفر بباريس يسمى باسطوانة كوديا

أسطوانات كوديا هي زوج من أسطوانات الطين النضيج تعود إلى حوالي ٢١٢٥ سنة قبل الميلاد مدون عليها أسطورة بناء معبد الإله نينجيرسو (معبد أي نانو)باللغة السومرية وبالخط المسماري. صنع هذه الأسطوانات الملك كوديا حاكم لجش، ووجدت عام ١٨٧٧م خلال أعمال الحفريات عند تالوها (جيرسو القديمة) وهي معروضة اليوم في متحف اللوفر باريس، فرنسا.وهي أكبر أسطوانات مسمارية

مكتشفة لحد الآن تحتوي أطول نص معروف مكتوب ب اللغة السومرية.

ترجمة نص أسطوانات جوديا (ملحمة بناء معبد نينجيرسو)

1.المقدمة: قرار السماء عندما قرر إنليل، سيد الرياح والقدر، أن يرفع شأن مدينة لجش، وأن يجعل اسمها عظيمًا بين مدن الأرض، ثبّت نظره على نينجيرسو، المحارب الإلهي، ابن إنليل، ومنحه مصيرًا مشرقًا. وفي تلك الأيام، كانت السماء والأرض في انسجام، وكانت القوانين الإلهية مستقرة، فاختار نينجيرسو راعيًا بشريًا أميتا: جوديا، حاكم لجش.

2.الرؤيا الإلهية (الحلم) في ليلة مقدسة، حين عمّ الصمت أرجاء المدينة، رأى جوديا حلمًا عظيمًا: رأى رجلًا هائل القامة، رأسه يلامس السماء، قدماه ثابتتان على الأرض، وعلى رأسه تاج إلهي، وبجانبه أسدٌ جاثم.

وتحدث الرجل بصوت الرعد: "ابن لجش، لقد حان وقت بناء بيتي، البيت الذي يربط السماء بالأرض". لكن جوديا لم يفهم الرؤيا كاملة، فامتلأ قلبه خشية وحكمة، وسعى إلى تفسير ما رأى.

3. طلب التفسير الإلهي توجّه جوديا إلى نانشي، سيدة الحكمة، قارئة القلوب، التي تعرف أسرار المياه العميقة. فقالت له: ذلك الذي

رأيته هو نينجيرسو، والسدّة التي ظهرت في الحلم هي مخطط المعبد، والأسد هو قوته التي لا تقهر". وقالت له: "سيُعطى لك الميزان المقدس، والحبل، وستقاس الأرض وفق القانون الإلهي".

4. التطهير والاستعداد فغسل جوديا يديه، وطهّر فمه، ونقّى قلبه، ولم يظلم أحدًا، ولم يرفع صوته في المدينة. في أيام البناء: لم يُضرب أحد، ولم يُجبر عامل، وساد العدل بين الناس. الضعيف كان قويًا، والغريب كان أخًا، والمدينة عاشت سلامًا كسلام المعابد.

5.جمع المواد من أقطار الأرض جلب جوديا خشب الأرز من الجبال البعيدة، وحجر الديوريت الصلب، ونحاسًا يلمع كالشمس، وفضةً من الجبال، وحجر اللازورد من أرض بعيدة. البحار فتحت طرقها، والجبال انحنت، لأن بناء البيت كان مشيئة الآلهة.

6. بناء معبد إينينو (بيت نينجيرسو) وضع جوديا الأساس في يوم سعد، عندما كان القمر في موضع طاهر، والشمس تبارك الأرض. قاس الأرض بالحبل المقدس، وثبّت الزوايا الأربع، وربط المعبد باتجاهات الكون. فصار البيت صورةً عن النظام الكوني، وجسرًا بين الأعلى والأسفل.

7. حلول الإله في المعبد عندما اكتمل البناء، نزل نينجيرسو إلى بيته، كالعاصفة الممطرة، وكالشمس المشرقة بعد الظلام. امتلأ المعبد بالنور، وسكنت البركة في المدينة، وكثرت الغلال، وهدأت الحروب.

8. الخاتمة: الخلود بالعمل الصالح قال جوديا: "لم أبنِ هذا البيت لمجدي، بل لطاعة الكلمة الإلهية". فثبت اسمه في الطين، لا بالسيف، بل بالحكمة والعمل الطاهر. وكل من يحفظ هذا النص، ولا يغيّر كلماته، فلتباركه الآلهة. ومن يمحه أو يعتدي عليه، فلتقلب الآلهة مصيره

الفصل الحادي والعشرون :التقويم الشمسي العالمي

وحدة الزمن والذاكرة الإنسانية عبر الحضارات

لم يكن الزمن، في وعي الإنسان القديم، مفهومًا تجريديًا يُقاس بالأرقام وحدها، بل كان كائنًا حيًا يُقرأ من حركة الشمس، وتعاقب الضوء والظلمة، وتبدّل الفصول. ومن بين جميع اللحظات الفلكية التي راقبها الإنسان عبر العصور، احتل الانقلاب الشتوي — أي أقصر أيام السنة وبداية عودة الشمس — مكانة مركزية في تشكيل التقويمات والأعياد والطقوس لدى شعوب الأرض كافة.

هذا الفصل يتناول التقويم الشمسي العالمي بوصفه بنية زمنية مشتركة، سبقت الأديان بصيغها المؤسسية، وتجلّت لاحقًا في أعياد دينية وثقافية متنوّعة، احتفظت جميعها بجوهر واحد: عودة النور واستمرارية الحياة.

أولًا: الانقلاب الشتوي بوصفه حدثا كونيًا مؤسسًا يمثل الانقلاب الشتوي (نحو ٢١ كانون الأول) اللحظة التي تبلغ فيها الشمس أدنى نقطة في مسارها الظاهري، فيقصر النهار إلى حدّه الأدنى، ثم تبدأ الشمس بالعودة التدريجية شمالًا. وقد فُهمت هذه اللحظة في الوعي الإنساني القديم بوصفها: موتا رمزيًا للشمس، ثم ولادة جديدة للنور وبداية دورة زمنية جديدة، ومن هنا، لم يكن الاحتفال بالانقلاب الشتوي طقسًا دينيًا ضيقًا، بل ضرورة وجودية في المجتمعات الزراعية التي ربطت بقاءها بحركة الشمس.

ثانيًا: وادي الرافدين والإيزيدية – شمش وشيشم في حضارات سومر وأكد وبابل، ارتبط الزمن بحركة الشمس التي جسّدها الإله شمش(Şemiş)، إله الشمس والعدالة والنظام الكوني. كانت الشمس ميزان الزمن، وعلى مسارها تضبط المواسم، والطقوس، وبدايات الدورات السنوية.

وقد استمر هذا الوعي الشمسي في الذاكرة الإيزيدية عبر عيد شيشم، الذي يأتي بعد الصوم وفي ذروة الشتاء، معلنًا عودة النور بعد أقصر أيام السنة. ويُعدّ هذا العيد مثالًا حيًا على انتقال التقويم الشمسي من الحضارات الرافدينية إلى الطقس الشفهي الإيزيدي دون انقطاع.

ثالثا: فارس والميديون – يلدا وذاكرة أطول ليلة

في الهضبة الإيرانية، ولا سيما في الثقافة الفارسية والميدية، ظهر عيد يلدا احتفالًا بأطول ليلة في السنة. وقد ارتبط هذا العيد بإشعال النار، والضوء، والسهر الجماعي، بوصفه إعلانًا رمزيًا عن انتصار النور على الظلمة. يمثل يلدا استمرارًا واضحًا للوعي الشمسي، حيث لا يُفهم الليل الطويل بوصفه نهاية، بل مقدّمة لعودة الضوء.

رابعًا: أوروبا الشمالية – الجرمان، الإسكندنافيون، والفايكنغ عند الشعوب الجرمانية والإسكندنافية والفايكنغ، شكّل عيد اليول (Yule)قلب التقويم الشتوي. تمحورت طقوسه حول: إشعال النار (جذع اليول) الشجرة دائمة الخضرة

الاجتماع الجماعي في قلب الشتاء وقد عبّرت هذه الرموز عن الشمس بوصفها نارًا كونية تعود بعد طول غياب. وانتقلت كثير من رموز هذا العيد لاحقًا إلى الثقافة الأوروبية الحديثة.

خامسًا: اليونان وروما – الشمس التي لا تقهر في العالم الكلاسيكي، احتفل الرومان بـ ساتورناليا، حيث ينقلب النظام الاجتماعي مؤقتا، في إشارة رمزية إلى الفوضى التي تسبق عودة النظام الكوني. كما برز عيد) Sol Invictus الشمس التي لا تقهر)، إعلانًا واضحًا لانتصار الشمس بعد الانقلاب الشتوي.

أما في اليونان، فقد ارتبط هذا التوقيت بعبادات هيليوس وأبولو، وبفكرة استعادة التوازن الكوني.

سادسًا: اليهودية والمشرق – الحانوكا والبربارة يأتي عيد الحانوكا في أواخر كانون الأول بوصفه عيد الأنوار، حيث تشعل الشموع والزيت في ذروة الظلمة. ورغم خصوصيته التاريخية اليهودية، فإن رمزيته النورية تندرج ضمن السياق الشمسي الشتوي الأوسع.

وفي بلاد الشام، يظهر عيد البربارة بطقوس القمح والحبوب، حيث يرمز القمح إلى الحياة الكامنة في الأرض خلال الشتاء، في انتظار الربيع، وهو امتداد لطقوس زراعية شمسية قديمة.

سابعًا: الهند وشبه القارة – ماكار سانكرانتي في الهند، يُحتفل بـ ماكار سانكرانتي، وهو عيد شمسي صريح يعلن تحوّل مسار الشمس وبداية حركتها شمالًا. ويُعدّ هذا العيد مثالًا واضحًا على عالمية التقويم الشمسي، خارج الإطار المتوسطي والأوروبي.

ثامنًا: المسيحية وتثبيت التوقيت الشمسي ثبّت عيد الميلاد المسيحي في أواخر كانون الأول ضمن هذا الإطار الزمني، محتفظًا برمزية ولادة النور، ومندمجًا مع تقاليد شمسية أقدم كانت راسخة في الوعي الجمعي للشعوب التي اعتنقت المسيحية لاحقًا.

خلاصة الفصل: التقويم قبل العقيدة تكشف دراسة التقويم الشمسي العالمي أن: الأسماء اختلفت الروايات تنوّعت العقائد تشكّلت بطرق متعددة لكن التوقيت بقي واحدًا. فالانقلاب الشتوي لم يكن مجرد ظاهرة فلكية، بل ذاكرة إنسانية مشتركة، عبّرت عنها الشعوب بلغاتها ورموزها الخاصة، مع احتفاظها بجوهر واحد: حين يطول الليل، يشعل الإنسان نارًا، ويؤمن بأن النور سيعود.

وبهذا المعنى، فإن التقويم الشمسي العالمي يمثل أحد أقدم جسور الوحدة الثقافية بين شعوب الأرض، من وادي الرافدين إلى فارس، ومن أوروبا إلى الهند، جامعًا الإنسانية حول شمس واحدة... وزمن واحد.

الفصل الثاني والعشرون: الباراسايكولوجيا في وادي الرافدين

من الألواح السومرية إلى الحكمة الإيزيدية.

(قراءة معرفية في الوعي غير الحسي قبل العلم الحديث)

ما يُعرف اليوم في العلوم الحديثة باسم الباراسايكولوجيا (Parapsychology)، لم يكن في حضارات وادي الرافدين علمًا هامشيًا ولا ظاهرة غامضة، بل كان جزءًا أصيلًا من بنية المعرفة الكونية.

لم يفصل الإنسان الرافديني بين:

العقل

الروح

الطبيعة

الزمن

الإرادة الإلهية بل تعامل معها بوصفها منظومة واحدة متكاملة، تعرف في جوهرها بما يمكن تسميته: «نظام الكون الحي». وفي الفكر الإيزيدي، لم ينقطع هذا الإرث، بل استمر كمعرفة طقسية ووعي شفوي حي، تنتقل عبر الرؤيا، والحدس، والرمز، والذاكرة الجماعية.

أولًا: ماهية الباراسايكولوجيا – المفهوم والجوهر الباراسايكولوجيا هي علم يدرس القدرات غير الحسية لدى الإنسان، مثل: التخاطر (Telepathy) الاستبصار (Clairvoyance) الرؤى والأحلام الرمزية، الإدراك ما وراء الحواس، التأثير العقلي في المادة وهي لا تنكر الحواس، بل تبحث فيما يتجاوزها دون أن ينفصل عنها. وهذا عين ما مارسه الإنسان السومري، لكن دون الفصل الحديث بين العلم والقداسة.

ثانيًا: الوعي غير الحسي في الألواح السومرية ألواح تفسير الأحلام الحلم كأداة معرفة من أقدم وأهم النصوص: سلسلة Iškar Zaqīqu (سلسلة تفسير الأحلام) وهي مجموعة ألواح تمتد جذورها إلى العصر السومري ثم الأكدّي، وتتعامل مع الحلم بوصفه:

رسالة كونية

إنذارًا زمنيًا

كشفًا معرفيًا

وسيلة تواصل بين الإنسان والنظام الإلهي لم يكن الحلم حالة نفسية عابرة، بل مصدرًا من مصادر المعرفة المنظمة. وهذا يتطابق تمامًا مع المفهوم الحديث للرؤيا غير الحسية. لوح «الإنسان يرى قبل أن يحدث»، ترد في نصوص رافدينية متعددة فكرة جوهرية مفادها أن:

«ما يُرى في الروح يسبق ما يقع في الواقع» وهو تصور يعكس إيمانًا واضحًا بأن:

الوعي قادر على تجاوز الزمن الخطي المعرفة قد تسبق الحدث

الرؤيا ليست خيالًا بل إدراكًا مبكرًا وهو ما يُعرف اليوم بـ الاستبصار. ثالثا: أسطوانة كودورو – الرؤيا كأمر إلهي ومعرفة هندسية تعد أسطوانة كودورو (حوالي ٢١٠٠ ق.م) من أبرز الشواهد

المادية على الوعي غير الحسي في وادي الرافدين. تذكر النصوص أن گوديا، حاكم لكش: رأى في حلمه كائنًا نورانيًا منحه مخطط المعبد

وأمره بالبناء وفق قياس سماوي وهنا تتجلى حقائق معرفية عميقة ويتضح هندسة تلك المعابد الأيزيدية في بناء القباب الحالية والواضحة كما في الصورة

الحلم = مصدر معرفة هندسية

الرؤيا = تعليم مباشر

الوعي = حالة تتجاوز اليقظة العادية فالبناء لم يكن وليد التجربة المادية وحدها، بل ثمرة رؤيا منظمة. وهذا مثال صريح على الإدراك غير الحسي الموجَّه، حيث تتحول الرؤيا إلى فعل واقعي دقيق.

رابعًا: الكهنة وحراس المعرفة غير الحسية في سومر، لم تكن هذه المعارف متاحة للجميع، بل حملها مختصون، منهم:

Āšipu – المعالج الروحي

Bārû – قارئ العلامات والنذر

Kalû – المنشد المقدّس

لم يكونوا سحرة، بل وسطاء معرفة، يقرؤون ما وراء الظاهر ويحوّلونه إلى نظام. وهنا يظهر التشابه العميق مع: القوالين والكالو في الإيزيدية الذين يحفظون المعرفة شفويًا ينقلون الحكمة عبر الصوت والإنشاد يستخدمون الرمز لا النص الجامد يعتمدون الحدس والصفاء الداخلي.

خامسًا: الفكر الإيزيدي والوعي غير الحسي في العقيدة الإيزيدية: الروح تسبق الجسد المعرفة ليست حسية فقط الزمن دائري لا خطي

الرؤيا الصادقة جزء من الهداية ويُقال في الموروث الإيزيدي: «الرؤيا هدية، وليست لكل الناس» وهو تعبير مطابق للفهم السومري أن المعرفة غير الحسية اختيار كوني وليست مهارة مكتسبة فقط.

سادسًا: التخاطر والربط الكوني لا يظهر مصطلح التخاطر صراحة في الألواح السومرية، لكنه حاضر كمفهوم عبر: التواصل بين الإله والإنسان دون وسيط انتقال الفكرة قبل الكلمة معرفة الحدث قبل وقوعه وفي الإيزيدية، يتجلّى ذلك عبر: الخاطر» الإحساس الداخلي التحذير أو البشارة الترابط بين الإنسان والطبيعة وهو ما تسميه العلوم الحديثة التواصل غير الحسي.

سابعًا: الذاكرة الكونية والروح الجماعية آمن السومريون أن: المعرفة لا تضيع، بل تخزّن في الزمن وحافظ الإيزيديون على هذا المبدأ عبر:النقل الشفهي

الطقوس الموسمية

الأعياد المرتبطة بالفصول

الرموز الشمسية والكونية

وهو ما ينسجم مع مفهوم الذاكرة الجمعية والوعي الكوني.

خلاصة الفصل: الباراسايكولوجيا ليست اختراعًا حديثا، بل إعادة تسمية لمعرفة قديمة. ومن خلال: الألواح السومرية أسطوانة كودورو، الرؤيا الموجهة الكلمة الإيزيدية الطقس والحدس

نكتشف أن إنسان وادي الرافدين امتلك وعيًا غير حسي منظمًا، لم يكن خرافة ولا وهمًا، بل نظام معرفة متكامل. والإيزيدية لم ترث النص فقط، بل ورثت طريقة الرؤية ذاتها.

الفصل الثالث والعشرون: هندسة الروح رمزية البناء في لالش

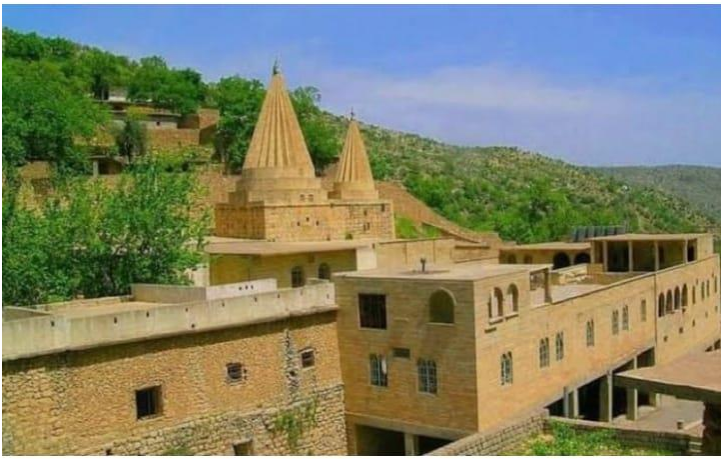

لالش حين يصبح المعمار لغة للروح لالش ليست مبنى من الحجر وليست معبدًا تزيينيًا صامتا بل هي كائن حيّ يتنفس الضوء ويتحرك مع الفصول ويحمل في هندسته ذاكرة آلاف السنين من الفكر الرافديني والروح الإيزيدية إنه المكان الذي يجتمع فيه النور، الجبل، الحركة، الماء، الظل، والزمن ولهذا السبب لا يمكن النظر إلى لالش بوصفها بناءً معماريًا فحسب بل يجب النظر إليها بوصفها هندسة روح تترجم أعمق ما في الإيزيدية وأقدم ما في سومر وبابل.

تقع لالش في قلب الجبال كما تقع الشمس في قلب السماء ويُنظر إليها منذ القدم على أنها أعلى نقطة روحية في مسار الإنسان نحو النور فالذي يصل إلى لالش لا يصل إلى مكان بل يصل إلى مركز تمامًا كما تصل الشمس إلى مركز مسارها في الانقلاب الصيفي، لم تبْنَ لالش بشكل مستقيم أو هندسي جامد بل بطريقة تجعل كل حجر فيها منسجمًا مع اتجاه الشمس و حركة الظلال و انحدار الجبل و مكان خروج الماء و مسار المشي والطواف وكأن المهندس الذي بناها كان يرى الجغرافيا ككائن حي يجب التفاهم معه لا فرض الشكل عليه، الإيزيدية، كما الحضارات الرافدينية ترى في الجبل أول معبد وأول نقطة يلمس فيها الإنسان السماء بالنظر ولذلك تبنى لالش حول الجبل لا فوقه وتتبنى قمم الجبل كجزء من هندستها محوّلةً الطبيعة إلى معمار والمعمار إلى روح، في لالش لا تظهر الشمس المكان فقط بل تشكّله فالضوء يرسم خطوط القباب ويحوّل الظلال إلى ساعات ويملأ الممرات بمعنى الزمن لهذا يعتبر الإيزيديون أن لالش "معبد الشمس" ليس لأنها تتجه نحو الشمس فقط، بل لأن الشمس تكتب عليها لا يمكن الحديث عن لالش من دون الحديث عن القباب المخروطية التي ترتفع فوق المداخل والمزارات كأنها شعلات نور أو جبال صغيرة تتجه رؤوسها نحو السماء هذه القباب ليست عنصرًا

معماريًا زخرفيًا بل هي لغة روحية تجسّد جوهر الإيزيدية وجذرها الرافديني العميق.

الشكل المخروطي يرمز للصعود يُشبه قمة الجبل، وشعاع الضوء، ولهب النار الصاعد. ولهذا أصبح المخروط رمزًا طبيعيًا للارتقاء الروحي صعود الروح نحو النور حركة الإنسان من الأرض إلى السماء اتحاد الجبل بالشمس فالإيزيدية مثل سومر ترى أن الصعود هو المعنى الأول للحياة شكل القبة في لالش يشبه القرص الشمسي حين يُرفع نحو الأعلى بامتداد رفيع ومخملي إنها ليست "قبّة" فقط بل شمس مُقامة باليد ولهذا تعتبر رمزًا للنور رمزًا للحياة رمزًا للدورة الكونية رمزًا للزمن في شكله الهندسي، تحتوي معظم القباب الإيزيدية على خطوط رأسية منقوشة أو مقسّمة بعناية هذه الخطوط هي تمثيل رمزي لأشعة الشمس وكأن القبة تقول "هذا المكان لم يُبنَ بالحجر وحده...بل بامتداد النور." هناك كرتان ذهبيتان تتربعان قرب رموز الشمس فوق القباب الإيزيدية وهما تمثلان عطارد (الساعي بين السماء والأرض) و الزهرة (رمز النور الأنثوي) وهما الكوكبان الأقرب للشمس في الفلك القديم وكان السومريون يرونهما "مساعدي الشمس" أو موكّلين بين الأرض والنور. وقد حافظت الإيزيدية على هذا الرمز بالشكل نفسه تقريبًا على مدى آلاف السنين.

في لالش القباب ليست فوق الأبنية فقط بل فوق المزارات وأماكن الزيارة المقدسة لأن القبة هي حاضنة الروح ومكان نزول البركة وموضع التقاء الإنسان بالملائكة السبعة وعالم النور في لالش لا يُبنى الجدار فقط ولا يوضع الباب صدفة ولا يُحدد اتجاه الممر بطريقة عشوائية بل إن الاتجاهات الأربعة هي جزء من الهندسة الروحية للمكان تمامًا كما كانت في سومر وأديان وادي الرافدين القديمة.

الشرق باب النور: الشرق هو أعظم اتجاه في الهندسة الإيزيدية فمنه تشرق الشمس ومنه وُلِد النور ومنه تبدأ الدورة الكونية كل يوم لهذا السبب لا يجوز للإيزيديّ أن يمدّ قدميه نحو الشرق ليس لحرمة المكان بل حرمة النور نفسه فالقدم رمز الأرض والشرق رمز السماء ًولا تلتقي الأرض بالسماء بهذا الشكل المباشر.

الغرب باب الظلال العائدة، الغرب هو اتجاه الظلال ونقطة عودة الشمس إلى الراحة وفي الهندسة الروحية هو الاتجاه الذي يحفظ ذاكرة يومٍ كامل من الحركة والضوء ولهذا ترتبط بعض المزارات والممرات الجانبية في لالش بالغرب بوصفه اتجاه "إغلاق الدائرة".

الجنوب باب الدفء والحياة: الجنوب يحمل معنى الحرارة وهو اتجاه القوة الامتداد الظهيرة الذروة الشمسية ولذلك تفتح بعض مسارات لالش نحو الجنوب لاستقبال ضوء الحياة في أقوى تجليّاته .

لشمال باب السكون والريح: الشمال هو موضع الهواء والريح وموضع السكون الذي يعيد التوازن للجهات الأخرى وكان السومريون يرون الشمال اتجاه "الأسفار العليا" ومن هنا بقي الشمال جزءًا من التوازن في معمار لالش، في الفلسفة القديمة وفي الإيزيدية أيضًا تتورّع الاتجاهات على العناصر

الشرق، النور (نار)

الغرب، الظل (تراب)

الجنوب، الحياة (ماء)

الشمال، الريح (هواء)

وبذلك يصبح المعمار مرآة صافية للوجود لالش ليست بناءً بل خارطة سماوية حين تتحرك داخل لالش أنت تسير على خارطة تشكّلت من الشرق الأول الجبل و الشمس والريح و الماء حركة اليوم الكامل كأنك تمشي داخل كونٍ مصغر صُمّم ليعيد الروح إلى ترتيبها الحقيقي.

الطواف الحركة التي تجعل الإنسان جزءًا من الضوء، الطواف في لالش ليس حركة أرجل بل هو حركة كون يمشي فيها الجسد كما تمشي

الشمس وكما تدور القباب وكما تتحرك الدورة الفلكية في الصحن السامَرائي إنه طقسٌ هندسي روحي أساسه الدوران مع اتجاه النور لا ضده.

صورة لرجلين الدين الايزيديين في أرجاء الالش بموسم الربيع والمناسبات

لماذا الطواف مع عقارب الشمس؟

الإيزيدي يطوف حول المزارات حول القباب حول الجرن المقدس دائمًا مع عقارب الشمس أي باتجاه حركة الضوء في السماء وهذا الاتجاه ليس اعتباطيًا فالحضارات الرافدينية القديمة كانت ترى أن السير عكس الشمس هو سير عكس النظام الكوني ولذلك الطواف اندماج الإنسان في حركة الكون.

الطواف ليس حول المكان: بل حول النور حين يطوف الإيزيدي فإنه لا يطوف حول بناء بل حول مركز نور يمثل نقطة التقاء الأرض و السماء و الإنسان و الملائكة السبعة و الزمن تمامًا كما تدور الأسماك حول مركز الصحن السامَرائي. مسار الطواف مرسوم في الحجر الممرات في لالش صُممت لتسير بشكل دائري أو شبه دائري توجّه الجسد دون أن يفكر إلى الحركة الصحيحة وكأن المكان نفسه يقود الجسد نحو مسار الشمس وهذا ما يجعل الطواف جزءًا من هندسة المكان لا من تعليمات البشر.

الطواف تناغم داخلي: الحركة الدائرية تهدئ الروح تعيد النفس إلى مركزها تضبط إيقاع القلب تجعل الإنسان يشعر بأنه جزء من شيء أكبر تعيد ترتيب الأفكار وترسّخ الإيمان بالنور إنها ليست عبادة جسدية بل هي إعادة ضبط لإيقاع الروح مع إيقاع الشمس.

الطواف والولادة الجديدة: في الإيزيدية الحركة الدائرية ترمز إلى الميلاد، النمو، النضج، الموت، التجدد وهي المراحل ذاتها التي تمر بها الشمس والفصول الأربعة والإنسان نفسه.

الطواف: قُدس الحركة إذا كانت القباب هي قدس الحجر فإن الطواف هو قدس الحركة والمعمار الإيزيدي يجمع بين الأمرين الحجر الذي يرتفع نحو السماء والإنسان الذي يدور حوله كما تدور الشمس في السماء.

الماء المقدس كانيا سبي ذاكرة الخلق الأولى

لا يمكن فهم لالش من دون فهم علاقة المكان بالماء فالماء ليس عنصرًا ماديًا عابرًا بل هو سرّ الحياة الأولى ومادة الخلق وخط الزمان الذي ينحدر من الجبل كما ينحدر النور من السماء ولذلك أصبحت كانيا سبي (العين البيضاء) قلب الطهارة في لالش ومركزًا روحيًا يتصل بأعمق جذور الإيزيدية وبأقدم معتقدات وادي الرافدين،الماء بداية الوجود في سومر بدأ الخلق من الماء وفي الإيزيدية أيضًا الماء هو أصل الطهارة مطهر الجسد معيد التوازن حامل ذاكرة النور شاهد على البراءة الأولى وهذا التشابه ليس مجرد توافق بل هو استمرار لفلسفة الماء في الوعي الرافديني القديم.

لماذا سُمّيت العين بـ "البيضاء"؟

البياض في الإيزيدية هو لون النور لا لون المادة ولهذا يُقال "كانيا سبي" لأن ماءها صافٍ و نقي بلا شوائب يشبه بياض النور ويُستخدم للطهارة الروحية، البياض هنا هو رمز للعودة إلى حالة "ما قبل الخطيئة" كما في الأساطير القديمة.

موقع كانيا سبي في هندسة لالش: المكان الذي تنبع منه العين ليس مصادفة فالمهندس الروحي القديم وضعها أسفل نقطة منحدرة في أحضان الجبل قرب المسار الرئيسي للطواف بحيث يعبرها الزائر في

طريق الدخول والخروج وهذا يجعل الماء جزءًا من مسار التطهير الذي يجب أن يمر به الإنسان قبل دخول مركز النور.

الماء كطقس: وليس كعنصر طبيعي عندما يغتسل الإيزيدي من الماء فهو لا ينظف جسده فقط بل يستعيد صفاء الروح و نضرة الحياة و نقاء البداية في اتصال الإنسان بالطبيعة و قدرة الجسد على استقبال النور الماء هنا هو طقس لا مادة.

الماء وحركة النور: الماء يعكس الضوء وعندما يسطع نور الشمس على سطح كانيا سبي تتحول العين إلى مرآة ترى فيها السماء كما لو أنها جزءٌ من الأرض لهذا كان الماء رمزًا لالتقاء العالمين العالم السفلي (الماء) والعالم العلوي (النور).

الماء في الإيزيدية يعكس الحياة : الطهارة، الذاكرة الماء يفتح الباب للروحي هيئ الجسد للدخول يعيد الإنسان إلى جذره الطيني يطهّر من العوالق ويذكّر بأن الحياة تبدأ دائمًا من نقطةٍ سائلة

وهذه الفلسفة هي ذاتها التي نجدها ًفي النقوش السومرية والأساطير البابلية، في لالش لا يوجد شيء ثابت حتى الجدران الحجرية تتحرك عبر الزمن ليس لأنها تتغير بل لأن الضوء الذي يضربها يتغيّر فيخلق مع كل لحظة معنى جديدًا للمكان فالضوء والظل ليستا حالتين بصريتين بل هما لغتان تكملان لغة المعمار.

الشمس كمهندس مشارك الشمس ليست زائرة في لالش بل هي شريك في تصميمه فالممرات والقباب والأبواب والنتوءات الحجرية كلها صُممت بشكل يسمح للشمس أن ترسم خطوطها عليها طوال اليوم.

عند الفجر الظلّ طويل

عند الظهيرة الظلّ ينكمش

عند الغروب الظلّ يصعد الجدار

هكذا تصبح لالش كتابًا يكتبه الضوء.

الإيزيدي القديم كان يعرف الوقت من خلال الظلّ طوله و اتجاهه و زاويته ومساره فوق الحجر تمامًا كما فعل السومريون حين صنعوا

أول ساعة شمسية لذلك لا يمكن فصل لالش عن فكرة الزمن لأنها مبنية على إيقاع الشمس.

القباب والظلّ المخروطي

القباب المخروطية تصنع ظلالًا أشبه بخيوط تنزل إلى الأرض هذه الظلال تشبه "أشعة معكوسة" وتؤكد أن القبة ليست بنية صامتة بل بنية تتحدث بالضوء

الظلّ: ليس عتمة بل لغة في الإيزيدية الظلّ ليس نقيض النور بل هو تجلّ آخر للنور لأن النور هو الذي يخلقه ولهذا يستخدم الإيزيديون كلمة "سيايىّا" لا للدلالة على الشر بل للدلالة على الغموض الروحي.

الضوء داخل الممرات: في لالش الممرات الضيقة تجعل الضوء يدخل بطريقة خافتة كأنه يتسلل من عالم آخر هذه الإضاءة تعطي الزائر إحساسًا بأن المكان يتنفس الزمن يتحرك والروح تدخل في حالة هدوء عميق إنها لحظة تأمل اختارها المهندسون الروحيون عن قصد.

معمار لالش كساعة كونية: إذا نظرت إلى لالش من الأعلى أو تخيّلت حركة الشمس عليها من الفجر إلى الغروب ستجد أنها تعمل كساعة شمسية وبوصلة وتقويم يومي ومخطط زمني وخارطة فصول.

وهذا ليس صدفة بل هو استمرار مباشر لفلسفة السومريين الذين جعلوا الشمس مركز الزمن الحجر والممرات والاستدارة لغة المعمار التي تعيد تشكيل الإنسان في لالش لا توجد قطعة حجر بلا معنى ولا يوجد ممر بلا وظيفة روحية ولا توجد استدارة أو انحناءة إلا وتحمل رسالة تتجاوز عالم الهندسة إلى عالم النفس والروح هذه العناصر الثلاثة الحجر، الاستدارة، الانخفاض تشكل جزءًا أساسيًا من هندسة الروح في لالش.

الحجر: ذاكرة الجبل، الحجر ليس مادة بناء فقط بل هو جزء من الجبل نفسه الإيزيدية ترى أن

الجبل يمثل بيت النور

الجبل يمثل أول معبد

الجبل هو أصل الحياة الروحية

ولهذا فالحجر المستخدم في لالش ليس حجرًا مصقولًا صناعيًا بل هو حجر طبيعي يحمل خشونة الجبل وذاكرته، لماذا نُحافظ على خشونته؟ لأن الحجر الخشن يُشعر الزائر بأنه قريب من الطبيعة يذكره بالجذور يوقظ تواضع الروح يجعله يتخلى عن غرور النفس الحجر هنا يعلّم الإنسان قبل أن يحمله.

الاستدارة لغة الأمومة الروحية: معظم مسارات لالش تأخذ شكلًا دائريًا أو شكل نصف قوس أو انحناءة لطيفة هذا التليين الهندسي

ليس لأجل الجمالية فقط بل لأنه يرمز إلى الاحتواء يمنح الراحة للطواف يحاكي شكل القباب يشبه شكل الرحم وينقل الإنسان من "خطّ العقل" إلى "دائرة الروح" الدائرة تعني عودة فكل استدارة هي عودة إلى مركز ما كما تعود الشمس إلى مدارها وكما تعود الروح إلى أصلها.

الممرات المنخفضة درس في التواضع: من يدخل بعض ممرات لالش يحتاج أن ينحني قليلًا وهذا الانحناء ليس مجرد ضرورة معمارية بل هو طقسٌ صامت يُعيد الإنسان إلى حجمه الطبيعي" الانحناء احترام " احترام المكان، احترام النور، احترام الجبل، احترام القدسية وكأن لالش تقول للداخل " اخفض رأسك قليلاً...فالنور فوقك."

التقاء الحجر والممر والاستدارة: حين يمشي الزائر داخل لالش فإن الحجر يذكّره بأصل الخلق الاستدارة تعيد إليه الإطمئنان الانخفاض يعلّمه التواضع بهذا يصبح المكان مدرسة روحية كاملة من دون حرف واحد مكتوب ، هذه الهندسة ليست من صنع معماري عادي إنها هندسة يصنعها الفلك، الجبل، الشمس، الماء، الطواف، الصوت، الصمت، الزمن ولذلك تبدو لالش مكانًا "مبنيًا بالروح" لا بالحجر وحده.

لماذا لا يُسمح بالدخول بالحذاء؟

ليس احترامًا للمكان فقط بل احترامًا للنور الذي يسكن المكان الحذاء يحمل تراب العالم يحمل ضوضاء الخارج يحمل أثر التعب يحمل بقايا الطريق ولالش هو مكان دخول الروح لا دخول الأثر لذلك خلع الحذاء هو خلعٌ لثقل العالم قبل دخول النور قد يبدو مختلفًا لكن السجاد الأبيض هو سطح أفقي يمثل الشيء نفسه الذي تمثله القباب المخروطية القبة تعني اتجاه النور صعودًا السجاد يعني اتجاه النور سيرًا كلاهما طريق نحو السماء واحد في الأعلى والآخر تحت القدم، السجاد يحدد مسار الطواف ويمنع الفوضى ويجعل الحركة هادئة متناغمة دائرية منسجمة مع تقويم الشمس وكأن السجاد الأبيض يحوّل الزائر إلى جزء من "ساعة لالش".

السجاد الأبيض... استقبال حين يرى الزائر الأبيض من عند مدخل لالش يُفهم فورًا أن "هنا تبدأ قدسية جديدة وهنا ينتهي صخب العالم." لهذا يقال "الأبيض لا يُفرش إلا للنور والنور لا يُستقبل إلا بالأبيض" عندما تدخل لالش ستلاحظ أن المكان لا يعتمد على نوافذ كبيرة ولا على فتحات عريضة بل يستخدم مشكاوات صغيرة وفتحات مدروسة تسمح بدخول الضوء بطريقة روحية لا مادية هذه الفتحات هي جزء من هندسة لالش وليست مجرد تفاصيل معمارية إنها عيون المكان.

في المعمار الروحي القديم النافذة الكبيرة تسمح بدخول الضوء دفعة واحدة لكن النافذة الصغيرة تسمح بدخوله مصفّى ومنتقى الهدف هنا ليس إضاءة المكان بل توجيه الضوء في خطوط معينة لتشكيل هدوء و خشوع و سكينة و إحساس بالزمن امتداد للنور دون إزعاج إنها طريقة تجعل الضوء يدخل كأنه "ضيف طقسي".

المشكاة موضع التأمل الداخلي

المشكاة (الطاقة الجدارية الصغيرة) تستخدم في وضع الزيت المقدس وضع القناديل الصغيرة حفظ أدوات الطقس خلق نقطة ضوء داخل الجدار وهي من أقدم الرموز الرافدينية وتظهر في معابد سومر وبابل متصلة بفكرة إشعال النور و حفظ السر و إظهار القدسية استمرار الضوء الداخلي ومن هنا أصبحت المشكاة هي قلب كل غرفة في لالش.

عندما يدخل الضوء من فتحة ضيقة فهو يتحول إلى شعاع مركز لا ينتشر بلا معنى بل يركز نفسه كما يركز القوال صوته في مقام معين المهندسون الروحيون في لالش تعاملوا مع الضوء كما يتعامل الموسيقي مع النغمة كل فتحة تعطي نوعًا مختلفًا من الضوء ضوء الفجر، ضوء الظهيرة، ضوء الغروب، ضوء الشتاء، ضوء الصيف وكأن لالش "تعزف ضوءًا" لا "تستقبل ضوءًا" فقط.

الضوء الموجّه يخلق الجوّ الروحي: الفتحات الصغيرة تمنع الضوء القوي من الدخول، فتخلق داخل المكان:

خفوتا

سكينة

ظلًا متوازنًا

رهبة مقدسة

إحساسًا بأن الزائر داخل رحم روحي وهالة متصلة بالنور العلوي كل هذا يجعل الزائر يدخل حالة تأمل دون أن يشعر.

فتحات الضوء تربط السماء بالحجر: كل نافذة صغيرة هي في الحقيقة خيط يربط بين:

السماء في الخارج

والحجر في الداخل

والروح في الوسط

فالضوء الذي يدخل إلى لالش ليس ضوءًا طبيعيًا، بل ضوءٌ مختار يمر عبر قناة ضيقة كأنه "رسالة من الأعلى".

المشكاوات : ذاكرة النار القديمة المشكاة ليست جديدة. هي امتداد لطقس سومري–بابلي قديم كان يُستخدم لحفظ النار المقدسة.

ولأن لالش

هي "بيت النور"،

فوجود هذه المشكاوات يؤكد استمرار الفلسفة نفسها: نار صغيرة ضوء قليل روح كثيرة

النور الداخل يتغير مع الزمن: الفتحات الصغيرة تجعل لالش تتحول إلى ساعة ضوئية تتغير مع:

ساعات اليوم

أيام السنة

الفصول الأربعة

فتلحظ في الشتاء ضوءًا خافتا وفي الصيف ضوءًا طويلًا وفي الربيع ضوءًا صافٍ وفي الخريف ضوءًا دافئًا. هذه ليست صدفة، بل جزء من هندسة الحكمة. الجسور الصغيرة والعبور فوق الماء: الانتقال من العالم المادي إلى عالم النور في لالش، لا تشيَّد الجسور فوق الماء صدفة، ولا يكون عبور الزائر فوق الجدول مجرد خطوة عملية، بل هو طقسٌ كامل يمثل الانتقال من حالة روحية إلى أخرى.

الماء في لالش مقدّس، والعبور فوقه مقدّس أيضًا، والجسر الذي يحمله مقدّس بدوره.

١. الجسور الصغيرة... بوابات التحوّل الجسور في لالش منخفضة، ضيّقة، ومتواضعة. ليست جسرًا ضخمًا، ولا بناءً هندسيًا مبهرًا، بل

هي خط رفيع يتيح للروح العبور من عالم الطين إلى عالم النور. تمامًا كما كان السومريون يصنعون جسورًا صغيرة فوق القنوات للدلالة على الانتقال من "المدينة الطبيعية" إلى "المدينة المقدسة".

٢. لماذا نعبر فوق الماء؟ الماء في فلسفة الإيزيدية هو بداية الحياة أصل الخليقة، رمز الصفاء، باب النقاء ذاكرة الروح وعندما يعبر الزائر من فوقه، فهو يعلن: "أنا أترك العالم خلفي وأدخل عالم النور." لذلك يصبح العبور جزءًا من الطقس، تمامًا كالغسل والطواف.

٣. الجسر = حدّ بين عالمين من يقف على الجسر يقف حرفيًا بين: اليابسة والماء وبين الماضي والمستقبل وبين الظلال والنور فالجسر في الإيزيدية ليس مجرد معبر، بل حدّ روحي.

٤. خطوات العبور... بطيئة ومقصودة لا يركض أحد فوق الجسر. من يعبره يخطو ببطء، كأنه يخطو فوق:

ذكرى

بداية

حياة

نور

عهد روحي

هذا البطء ليس نتيجة ضيق الجسر، بل نتيجة روحانية الطقس.

٥. الجسر والماء يعيدان ترتيب الروح العبور فوق الماء يغيّر شعور الإنسان فورًا. يجعل في داخله:

هدوءًا

توازنًا

إحساسًا بالنقاء

اتصالًا بعنصر الماء

استعدادًا للدخول في المقدس

وهذا التفاعل النفسي هو جزء من حكمة المكان.

٦. جسر لالش... بوابة إلى الداخل بعد عبور الجسر، يدخل الزائر مباشرة في الممرات المؤدية إلى "الداخل"، والداخل هنا هو:

داخل المكان

داخل الروح

داخل الذاكرة المقدّسة

وهكذا يصبح الجسر أول خطوة في رحلة الاندماج مع النور.

٧. رمزية الجسر في الأساطير الرافدينية كانت الجسور في سومر تمثل عبور "الروح" من العالم السفلي إلى العلوي، ومن عالم الظل إلى عالم الضوء. والإيزيدية حافظت على هذه الرمزية من دون أن تغيّرها،

وكأن لالش آخر مكان حيّ يحمل معنى "جسور سومر". الأبواب والمداخل: حدود الانتقال ومقامات العبور في لالش لا توجد أبواب في لالش بلا معنى. كل باب هو حدّ، وكل حدّ هو تحوّل، وكل تحوّل هو طقسٌ روحي يمر به الزائر أثناء دخوله إلى عالم النور.

معمار الأبواب في لالش يعكس فلسفة كاملة حول الانتقال من:

الخارج إلى الداخل

من الطين إلى الروح

من العالم العادي إلى العالم المقدس

من الظل إلى النور

- **لماذا بعض الأبواب منخفضة جدًا؟**

الأبواب المنخفضة ترغم الداخل على الانحناء. ولكن الانحناء في لالش ليس مجرد حركة جسد، بل هو:

خفضٌ للكبرياء

إعلان احترام

تذكير بتواضع الإنسان أمام النور

تحضير للدخول في مقام أعلى

وكأن الباب يقول للداخل: "اخفض رأسك ، فالنور هنا أعلى منك." هذا الباب ليس بابًا بل درسٌ روحي.

- **الأبواب المرتفعة... مقام الكرامة**

بعض الأبواب في لالش مرتفعة، خاصة تلك التي تفتح على الممرات الرئيسية. وهذه الأبواب تمثل:

الفرح

الانفتاح

سماحة المكان

استقبال النور

عبور الجموع دون عائق

الارتفاع هنا يجعل الداخل يشعر:

بالاتساع

بالطمأنينة

بالتحرر

بأن المكان يحتضنه هي أبواب "الاستقبال".

- **لماذا تصنع الأبواب من الحجر؟**

لأن الحجرثابت قديم يحمل ذاكرة الجبل ويتحمل الزمن يُشعر الإنسان بالصلابة والامتداد، الباب الحجري يشبه حضن الجبل، وكأن المكان يقول: "أنت تدخل هنا إلى جبلٍ حيّ."

- **الأبواب الضيقة... مسار النفس الأبواب الضيقة تجعل الزائر: يتباطأ يتنفس بعمق يركّز على الخطوة، يترك**

خلفه الضوضاء والسرعة، إنها تعيد الإنسان إلى وتيرة روحانية هادئة تناسب مكانًا مثل لالش.

- العتبات الحجرية (السودة)... حدود الوعي بعض الأبواب لها عتبة صخرية يعبر فوقها الزائر.

هذه العتبة ليست عائقًا، بل هي "حدّ الوعي"، تذكّره بأنه ينتقل من عالم الخلق إلى عالم النور وكأن العتبة تقول: "ما قبل هذا الحجر عالم، وما بعده عالم آخر."

- الباب ليس مدخلًا بل مقامًا، كل باب في لالش هو مقام روحي له خصوصيته. بعض الأبواب: تفتح على الطواف وبعضها على النذر وبعضها على أماكن الذكر وبعضها على الحجرات المقدّسة وبعضها على الماء وبعضها على القباب وبالتالي: الباب = بداية طقس جديد.
- فلسفة الأبواب في وادي الرافدين الأبواب في سومر وبابل كانت تسمّى:

"باب السماء"

"باب الحياة"

"باب الشمس"

لالش لا تزال تحمل هذه الفلسفة. الباب ليس خشبًا وحجرًا، بل حدًا كونيًا يفصل بين الظلّ والنور. الصوت والصدح: حين يُصبح الحجر

مقامًا موسيقيًا لالش ليست مكانًا يُرى فقط، بل مكان يُسمع. فالصوت جزء من هندستها، والممرات ليست مجرد طرقات، بل هي قنوات صوتية تلتقط الذكر وتعيده وتصقله حتى يصبح للصوت "روح".

الصدى في لالش ليس انعكاسًا صوتيًا، بل هو كائن روحي يتشكل داخل الحجر.

١. الممرات كأنابيب للنغم الروحي: حين يمشي القوال أو يقرأ أحدهم دعاءً في ممرات لالش الضيقة، فإن الصوت: يضيق

ثم يرتفع

ثم يرتد

ثم ينساب

ثم يتلاشى ببطء

هذه الحركة الصوتية لا تحدث في مكان عادي، بل نتيجة:

ضيق الممر

خشونة الحجر

الاستدارة

الفتحات الصغيرة

سقوف منخفضة

صمت المكان

الهندسة هنا مصممة لخدمة الروح الصوتية.

٢. الصوت في لالش = ذكر + فلك الإيزيدية ترى أن الصوت هو أحد عناصر الوجود. وكما أن: النار = تحول الماء = طهارة الحجر = ثبات الهواء = روح فإن الصوت = حركة الروح في الجسد.

وفي لالش، الصوت يتحول إلى:

دعاء

طقس

موسيقى

صدى

تكرار

همهمة

التقاء بين الإنسان وجدران المعبد وكأن المكان نفسه يردّ على الإنسان.

٣. لماذا صدى لالش مختلف؟ الصدى هنا:

ناعم

طويل

يشبه هسيس الريح

يحمل نبرة روحية

لا يتحول إلى ضوضاء

يندمج سريعًا مع الصمت

والسبب هو الهندسة: الحجارة غير مصقولة الممرات ليست مستقيمة الفتحات صغيرة الأسقف مقوّسة العمق الجبلي حاضر هذه العوامل تجعل الصدى هو نفَس المكان.

٤. القوالون وصناعة الصوت المقدس: القوالون حين ينشدون أقوالهم داخل لالش، لا يكونون منشدي قصيدة، بل صانعي طقس صوتي.

فأصواتهم: تتداخل مع الحجر

تتغذى على صدى الممر

تتحول إلى موجة واحدة

تعيد تشكيل الوعي

تسكّن القلب

تهذب الروح

وهذا ما يجعل القول الإيزيدي "صوتا كونيًا" لا نصًا بشريًا فقط.

٥. همهمة الزائر دعاء غير مسموع

كثير من الزوار يدخلون لالش ويبدأون بالهمهمة، لا بكثرة الكلام. هذه الهمهمة تصبح جزءًا من هندسة الصوت، وتتفاعل معها الجدران كما لو كانت تستمع. الصوت هنا لا يحتاج إلى كلمات، بل إلى روح.

٦. الصمت، صوت آخر في لالش، حتى الصمت صوت. الصمت: يمتص الضوضاء ويحفظ الصدى ويترك حيزًا للنور ويعيد ترتيب النفس يجعل الزائر يسمع قلبه

ولذلك يقال: "لالش تعلّم الإنسان الصمت كما تعلّمه القول."

٧. هندسة الصوت = هندسة النفس

الصوت في لالش ليس امتدادًا للجسد، بل امتداد للروح. والمكان صُمم بحيث: يرفع الصوت يلينه، ينقيّه، يجعل كل كلمة تمر عبر "بوابة الحجر" حتى يتحول الكلام إلى ذكر والصدى إلى نور.

المعابر الحجرية (الدهاليز): ممرات الانتقال بين العالمين في لالش، ليست كل الممرات واسعة، ولا كل الطرق مستقيمة، بل هناك دهاليز حجرية صغيرة، تشبه الأنفاق القصيرة، يمر منها الزائر فيشعر فجأة أن شيئًا ما تغير داخل روحه. هذه الممرات الضيقة هي جزء أساسي من هندسة لالش، ولها معنى أعمق بكثير مما قد يبدو للعين.

- **الدهليز... لحظة انقطاع عندما يدخل الإنسان دهليزًا صغيرًا:**

ينخفض الضوء

يضيق الهواء

يتباطأ المشي

يسود الصمت

ويختفي العالم الخارجي

هذه اللحظة ليست ضيقًا معماريًا، بل انقطاعًا رمزيًا عن العالم المادي. فالدهليز يقول للزائر: "انخلع من الدنيا قليلًا لتدخل إلى النور."

- **ضيق المكان = اتساع الروح في الممر الضيق، يتحرر الإنسان من:**

التشتت

الضوضاء

السرعة

الأشياء الخارجية

المشهد الواسع

الثقل البصري

فينكمش العالم

ويتسع الداخل.

لذلك يشعر الزائر وكأنه يتحول إلى حالة روحية أعمق بمجرد أن يخطو داخل دهليز لالش.

- **لماذا توجد دهاليز كثيرة في لالش؟ لأن لالش**

ليست طريقًا واحدًا، بل رحلة، والرحلة الروحية لا تكون بخط مستقيم، بل بمحطات متعددة، كل محطة تغيّر شيئًا في داخل الإنسان. الدهليز هو إحدى هذه المحطات:

يفصل

يعيد تشكيل الوعي

يعيد ترتيب النفس

يجهز الإنسان لاستقبال المقدس

- **الظلام المؤقت... ضوء داخلي داخل الدهليز قد يخفّ الضوء، لكن هذا الظلام المؤقت ليس خوفًا بل هو هدية:**

ظلام يساعد العقل على التركيز

ظلام يعيد صوت الروح

ظلام يبعد العين عن الماديات

ظلام يمهّد للقاء النور بعدها

تمامًا كما تمرّ البذرة في الظلام قبل أن تنبت نحو الشمس.

- **الدهليز = بوابة بين عالمين عندما يعبر الإنسان دهليزًا، ثم يخرج إلى ممر مفتوح أو ساحة، يشعر بهذا الفرق كما لو أنه خرج إلى عالم جديد. وهذه هي الفلسفة الرافدينية القديمة: البوابة ليست حدودًا، بل تحوّلًا. وهذا ما استمر في لالش حتى اليوم.**
- **الدهاليز تحافظ على هدوء الزائر هذه الممرات الضيقة تمنع الزائر من:**

الركض

الضجيج

رفع الصوت

الحركة الفوضوية

فيجبره المكان

على أن يكون:

هادئا

متزنًا

واعيًا بخطواته

حاضرًا روحيًا

وهكذا يتحول الجسد إلى جزء من طقس المكان.

- **حجر الدهليز آخر وصايا الجبل الحجر الطبيعي الخشن الذي يكوّن الدهاليز يشبه الجبل الحقيقي. فأنت عندما تلمس الحجر أو يلامسك، تشعر أنك تعبر داخل جسد الجبل نفسه.**

وهذا يجعل العبور ليس مجرد حركة جسدية، بل رحلة داخل ذاكرة الطبيعة. الأرض غير المستوية: حين يذكّر الحجر الإنسان بأصله في لالش، لا تجد أرضية ملساء تمامًا، ولا طريقًا مستويًا بشكل كامل، ولا سطحًا يخلو من نتوءات حجرية صغيرة. هذا ليس نقصًا في البناء، ولا خطأً في الهندسة، بل هو قرار روحي يقصد أن يربط الإنسان بجذوره الأولى وبتواضع الجسد وبذاكرة الجبل.

١. الأرض الخشنة... تواضع الحركة الأرض غير المستوية

تجعل حركة الإنسان:

أبطأ

أهدأ

أكثر وعيًا

وأقلّ عجلة

فيبتعد الزائر تلقائيًا عن الضوضاء والاندفاع.

وكأن لالش تقول: "هنا لا تسرع، فالنور يحتاج إلى خطوات هادئة."

٢. النتوءات الحجرية... لمسٌ مباشر للطبيعة هذه النتوءات تمثل قطعًا صغيرة من الجبل نفسه، أُبقيت على حالها دون صقل لأنها: تحافظ على أصالة المكان تربط الزائر بالأرض تمنع الفصل بين البناء والطبيعة تجعل القدم تشعر بالحقيقة لا بالزينة إنها رسالة خفية تقول:"هذا المكان ليس قصرًا بل جبلًا مقدسًا."

٣. لماذا لم تسوّى الأرض رغم القدرة على ذلك؟ لأن تسوية الأرض تعني فصل المكان عن الجبل. أما إبقاء الأرض خشنة فهو إبقاء:

حرارة الجبل

ذاكرة الصخور

أثر القدم الأولى

حرارة الشمس المخزونة في الحجر

اتصال الإنسان بالأرض الأم

الهندسة الروحية

تفضّل الحقيقة الخشنة

على الجمالية الملساء.

٤. عدم الاستواء = يقظة عندما تكون الأرض غير مستوية، يصبح الإنسان: منتبهًا لخطوته حاضرًا ذهنيًا محاطًا بهيبة المكان بعيدًا عن التشتت فالمكان نفسه يقظٌ، ويعلّم الزائر اليقظة.

٥. النتوءات كعلامات زمنية في بعض الممرات، تستخدم النتوءات الحجرية لتتبع اتجاه الطواف، أو لتحديد مسار الدخول والخروج، أو للتذكير بالحجرات المقدسة. هذه النتوءات تشبه: نقاطًا على خارطة أو علامات في الزمن أو خطوات محفوظة لأسلاف مرّوا من هنا وكأن الحجر يحفظ ذاكرة الأقدام القديمة.

٦. الأرض الطبيعية = صدق المكان لالش مكان للصدق الروحي، لا للزينة، ولذلك يجب أن:

تلمس القدم الحجر

وتسمع الأذن الصدى

ويرى القلب النور

ويتنفس الجسد الجبل

فإذا صارت الأرض مستوية وملساء، فقد المكان جزءًا من حقيقته.

٧. فلسفة الأرض الخشنة في الرافدين في سومر وبابل، كانت المعابد تبنى على منصات غير مستوية لأجل رمزية:

الصعود

الجهد

التجدد

فصل العادي عن المقدس ولالش ما زالت تحمل هذه الفلسفة كما لو أنها ابنة مباشرة لهذه الحضارات القديمة.

القباب المتعددة والمقامات الداخلية: أجنحة الروح داخل جسد لالش

لالش ليست مبنى واحدًا، بل هي كائن متعدد الأجنحة، تتحرك فيه الروح عبر مقامات مختلفة، كل مقام يحمل طابعه الخاص، وكل قبة تعلن رسالة مختلفة من رسائل النور. التعدد في لالش ليس كثرة... بل تناغم.

١. لماذا توجد قباب كثيرة؟ تتوزع القباب في لالش كما تتوزع الكواكب حول الشمس. فكل قبة هي "شمس صغيرة"، وكل مزار هو "نقطة نور". وجود القباب المتعددة يرمز إلى:

تنوع التجليات الروحية

اختلاف مراتب الطقس

تعدد الملائكة السبعة

توزيع النور على أماكن متعددة

استمرار الدورة الكونية داخل المكان

فالقبة ليست سقفًا، بل مركزًا للطاقة الروحية.

٢. المقامات الداخلية كأجنحة لحركة الروح داخل لالش، توجد حجرات ومقامات صغيرة، بعضها مضيء، وبعضها شبه مظلم، وبعضها مليء بالهواء، وبعضها هادئ تمامًا. هذا التنوع ليس صدفة،

بل هو "أجنحة الروح" التي يمر عبرها الزائر. كل مقام يمثل:

درجة

حالة

شعورًا

مقامًا صوتيًا

انتقالًا داخليًا

وكأن الروح تصعد درجًا غير مرئي من مقام إلى آخر.

٣. القباب العالية... مقامات النور العلوي، القباب المرتفعة هي تجلّي النور الأسمى، فهي تستقبل الشمس مباشرة، وتجمع الضوء في مركزها، وتجعل الداخل يشعر: بالاتساع بالقوة بالرهبة الجميلة بالسلام الداخلي هذه القباب تشبه قمم الجبال التي تتصل بها السماء.

٤. القباب الصغيرة: مقامات السرّ والسكينة القباب الأصغر، خاصة تلك التي تغطي الحجرات الجانبية، تمثل:

الحفظ

الخلوة

التأمل

الطهارة

المعرفة الصامتة

إنها ليست شمسًا قوية، بل "نورًا داخليًا" يشبه ضوء القلب لا ضوء السماء.

٥. اختلاف الارتفاعات... درس في مراتب الوجود ليست كل القباب في مستوى واحد.

بعضها أعلى،

وبعضها أسفل،

وهذا يعكس:

مراتب الوعي

درجات الطقس

مستويات النور

ترتيب العلاقات بين المقامات وكأن لالش تقول للزائر: "ليس النور واحدًا، بل درجات تصل إليها خطوة خطوة."

٦. المقامات مثل أعضاء الجسد لالش تشبه جسدًا حيًا، والمقامات داخله هي مثل:

القلب

الصدر

الجناحين

الرأس

العمود

الأطراف الروحية للمكان وكل مقام، يقوم بوظيفة روحية معينة، تمامًا كما يقوم كل عضو في الجسد بوظيفته الخاصة.

٧. لماذا هذا التعدد ضروري؟ لأن الإيزيدية دين يقوم على الحركة لا الثبات، وعلى التحول لا الجمود، وعلى الترقي لا الوقوف. والمقامات المتعددة تخلق مسارًا تدريجيًا يمر فيه الإنسان من:

الطهارة

إلى الطواف

إلى النور

إلى السرّ

إلى السكينة

إلى العودة للعالم الخارجي وهو شخص مختلف عما كان قبل الدخول.

الچرا: **نار النذور وروح المكان التي لا تنطفئ في لالش، النار ليست جمرة، ولا مجرد شعلة، ولا وسيلة للإضاءة، بل هي كائن روحي يُعامل باحترام ورفق، وتشعل بزيت مقدّس لا يُشعل في أي مكان آخر. هذه النار هي امتداد مباشر لأقدم رموز النور في حضارات وادي الرافدين، وتحمل في جوهرها سرّ الطهارة والبركة والاتصال بالعالم العلوي.**

١. ما هي الچرا؟ الچرا هي: وعاء حجري أو نحاسي صغير يوضع فيه الزيت المقدس تثبّت فيه الفتيلة وتشعل النور فيه بهدوء لتبقى النار حاضرة بلا انقطاع تبدو بسيطة، لكنها في الحقيقة محراب نور لا يُمسّ إلا باحترام.

٢. لماذا يُشعل الزيت فقط... وليس الخشب؟ الزيت في الإيزيدية هو أنقى المواد القابلة للاحتراق، لأنه: يستخرج من النبات لا يحمل دخانًا كثيفًا يعطي نارًا صافية يُشعل بسرعة يرمز إلى "النور السائل" والنار التي تخرج من الزيت هي نار بلا شوائب، تمامًا كما كان السومريون يشعلون نار "الزيوت العطرة" في معابدهم.

٣. موضع الچرا في لالش مواضع إشعال الچرا موضوعة بعناية شديدة: في زوايا معينة قرب المقامات داخل المشكاوات على ارتفاع محدد بحيث لا تنطفئ بسهولة وبحيث ترى نورها من زوايا متعددة المكان نفسه "يحمي النار". والمشهد دائمًا: نور صغير... يكفي لملء القلب.

٤. لماذا يبقى النور مشتعلاً؟ لأن النار:

رمز للحياة

رمز لاستمرار الطقس

رمز لعدم انقطاع الرحمة

رمز للحضور الروحي

رمز للنذر الذي قدّمه الزائر

النار المقدّسة في لالش لا تنطفئ بسهولة، وكأن المكان يقول:

"النور هنا أبدي، لا يغيب عن بيت الشيخ."

٥. النار ككائن... لا كعنصر الإيزيديون يتعاملون مع النار

كما يتعاملون مع ضيفٍ روحي. فهم:

لا ينفخون عليها

لا يطفئونها مباشرة

لا يلقون عليها ماء

لا يمرون فوقها

لا يدوسون ظلها

لأن النار هنا ليست مادة، بل روح قائمة بذاتها.

٦. العلاقة بين الچرا والنذر كثير من الچرايات تشعل بنذور الزوار:

اشعال القناديل في المعبد الأيزيدية يسمى چرا

زيت، قطن، فتيلة، دعاء

فالنار هنا هي "هدية" من الإنسان للنور، وتصبح في اللحظة نفسها "بركة" من النور للإنسان. تبادل روحي عميق لا يمكن تفسيره بالعقل وحده.

٧. الچرا امتداد لنار سومر: السومريون كانوا يشعلون:

نارًا في المعبد

نارًا على الزقورة

نارًا في غرفة الكاهن

نارًا على المذبح

ونارًا في قلب المدينة وكانوا يعتبرونها "عين الإله".

واليوم، الچرا في لالش هي آخر نار حيّة تحمل المعنى نفسه:

نار تمثل عين النور ولا تغلق أبدًا. لالش روحٌ مبنيّة بالحجر والنور بعد أن نتتبع هندسة لالش من قبابها المخروطية إلى دهاليزها الضيقة، ومن سجادها الأبيض إلى ضوء مشكاواتها، ومن ماء كانيا سبي إلى نار الچرا، يظهر أمامنا مكان لا يمكن وضعه في خانة "معمار" ولا "سلّم هندسي"، ولا "مزار" فقط لالش، في حقيقتها، هي جسدٌ روحي صنعته آلاف السنين من الذاكرة الرافدينية والفلسفة الإيزيدية.

١. لالش = الجبل الأول الجبل هو أول معبد، ولالش هي الجبل الذي احتفظ بذاكرة البداية. كل حجر فيها يشبه صخرة من جبل لالش نفسه، كأن البناء ليس إضافة، بل امتداد طبيعي للجبل.

معبد الالش النوراني في العراق

٢. لالش = الشمس على هيئة معبد الشمس ترسم لالش كما يرسم الفنان لوحته. فالضوء والظل: يحددان الوقت يرسمان المقامات يحددان اتجاه الطواف ويشكلان حالة الإنسان الداخلية إنها ساعة كونية يسكن فيها الزمن.

٣. لالش = الماء الأول: ماء كانيا سبي ليس ماءً عاديًا، بل "ذاكرة الخلق"، حيث يصبح الاغتسال عودة إلى الطين الأول الذي خلق منه الإنسان.

٤. لالش = الصوت الذي لا يُرى الصوت في لالش جزء من هندسة المكان. يعلو من صدح القوال، وينخفض في همس الزائر، ينساب عبر الحجر، يصعد مع الهواء يتردد مع القباب ويستقر في القلب كأنه موسيقى الجبل.

٥. لالش = الطواف نحو النور الطواف مع الشمس هو إعادة الروح إلى مدار النور. الحركة ليست عبادة جسدية، بل اندماج روحي مع دورة الفلك.

٦. لالش = القلب الذي يجمع الروح كل ممر وكل ضوء وكل باب يقود نحو المركز مقام الشيخ آدي، حيث تتجمع:

القباب

الطقوس

الظلال

الصدى

الاتجاهات الأربعة

سجاد الطهارة

نور الچرا

كأن لالش كلها تتنفس من قلب الطبيعة كما يتنفس الجسد من قلبه.

٧. لالش = آخر ابنة لسومر: لالش هي آخر مكان حي يحمل كامل رموز الحضارة الرافدينية: الجبل، الشمس، الماء، النار، الأبواب المقدّسة، الدهاليز، المعابر، القدسية الدائرية، مقام المركز الروحي والطواف حول النور.

إنها ليست امتدادًا لسومر فقط، بل آخر ابنة لها، حملت الرسالة كاملة ووصلت بها إلى الإيزيدية اليوم.

٨. الخلاصة: لالش ليست مكانًا... بل ولادة روحية من يدخل لالش مرة، يخرج منها إنسانًا آخر. فالإنسان يدخل بثقل العالم، ويخرج:

أخفّ

أصفى

أهدأ

أقرب للنور

وأكثر وعيًا بوجوده لأن لالش لا تغيّر خطوات الإنسان فحسب، بل تغيّر اتجاه قلبه.

الفصل الرابع والعشرون :عيد خدر إلياس

الحبوب السبعة، خبز الانتظار، وحكمة البدايات الخفيّة

خدر الياس والحبوب السبعة والحكمة من وراء تناولها في فصل الربيع

ليس كل عيدٍ صخبًا، ولا كل احتفال نارًا وضوءًا. بعض الأعياد تأتي بهدوء، وتمارَس في البيت، وحول التنور، وبين أفراد العائلة، وتحمل في بساطتها أقدم حكم الإنسان.

عيد خدر إلياس واحد من هذه الأعياد، عيد لا يعلن اكتمال الحياة، بل بدايتها الخفيّة.

أولًا: زمن العيد – شباط وبداية التحوّل يأتي عيد خدر إلياس في شهر شباط، وهو زمن بالغ الدلالة: الشتاء لم ينتهِ والربيع لم يبدأ بعد الأرض ما زالت باردة لكن البذور استيقظت شباط هو: شهر

الانتظار، لا شهر الحصاد. ولهذا لم يُربط العيد بالوفرة الظاهرة، بل بالأمل الكامن.

ثانيًا: الحبوب السبعة – ذاكرة الزراعة الأولى من أهم طقوس العيد تحميص الحبوب السبعة. وهذا الفعل ليس عادة غذائية، بل طقس زراعي رمزي. السبعة هنا ترمز إلى: تنوّع الحياة اكتمال الدورة اجتماع القوى الحبوب المحمّصة: هي بذور لكن لا تزرع بل تؤكل وكأن الطقس يقول: نُجرّب الحياة أولًا في الجسد، قبل أن نعيدها إلى الأرض.

ثالثا: الرقم سبعة – نظام لا صدفة السبعة: عدد كوني عدد الكواكب، عدد الملائكة في الذاكرة الإيزيدية واختيار سبع حبوب يعني: استحضار النظام الكامل قبل بدء الموسم الزراعي. فالإنسان لا يزرع عشوائيًا، بل بعد أن يوازن النظام.

رابعًا: التحميص – النار التي توقظ البذرة تحميص الحبوب هو فعل دقيق. النار هنا: لا تحرق بل تنبّه هي نار خفيفة، تشبه شمس شباط، لا تحرق الأرض لكنها توقظها. وهذا يعيدنا إلى فلسفة الطين والنار: ما يمرّ بالنار لا يموت، بل يتحوّل.

خامسًا: الكعكة المالحة – خبز الحلم من أعمق طقوس العيد صناعة الكعكة المالحة. العجين: بلا سكر بلا زينة بسيط وصامت وفي قلبه: حبّة زبيب واحدة ثم تقسَّم الكعكة على أفراد العائلة. من تصله

حبّة الزبيب: يُقال إن له حظًا أو نصيبًا أو بشارة سنة لكن المعنى أعمق من الحظ: إن البذرة لا ترى من الخارج، لكنها تغيّر مصير القطعة كلّها.

سادسًا: الحلم بعد الملح – الجسد شريك الطقس تؤكل الكعكة المالحة ثم ينام الناس دون ماء. الملح: يوقظ العطش والعطش يوقظ الحلم والحلم هنا: ليس تنبؤًا بل رسالة من الداخل الطقس لا يُعطي جوابًا مباشرًا، بل يفتح باب الوعي.

سابعًا: العائلة – الطقس في أصدق مكان عيد خدر إلياس لا يُقام في ساحة عامة، بل في البيت. حول:

الأم

التنور

الخبز

الأطفال

وهنا تكمن قوّته: الطقس الذي يعيش في العائلة لا يُمحى بسهولة. فالذاكرة تبدأ من المائدة لا من المعبد فقط.

ثامنًا: خدر إلياس – الاسم والمعنى خدر إلياس ليس شخصًا تاريخيًا فقط، بل رمز للحياة المستترة. خدر:

من الخُضرة

والنمو الخفي

وإلياس:

العبور

والمرافقة

والحضور غير المرئي، الاسم كله يقول: ما هو حيّ لا يحتاج أن يُرى دائمًا.

تاسعًا: امتداد رافديني واضح حين نقرأ هذا العيد في سياق وادي الرافدين، نراه امتدادًا مباشرًا لـ: طقوس البذار مواسم الانتظار قراءة الأحلام ومراقبة التحوّل قبل الظهور وهو نفس الفهم الذي رأيناه في: صحن سامراء والدورة الكبرى والطقس بوصفه ذاكرة حيّة، عيد خدر إلياس ليس عيدًا للفرح الظاهر، بل عيد الثقة. الثقة بأن ما في الأرض يستيقظ وما في الإنسان يرى وما في الزمن يعود والحبوب السبعة ليست طعامًا، بل وعدًا. والكعكة المالحة ليست خبزًا، بل حلمًا يُقسَّم بالعدل. هكذا عاش الإنسان الرافديني، وهكذا بقي الإيزيدي يحفظ البداية قبل أن تعلن الحياة نفسها.

عيد خدر إلياس وحكمة الحبوب: أخلاق الحياة، وقانون الانتظار الكوني ليست كل القوانين مكتوبة، وليست كل الحكمة صادرة عن مختبر. في بعض الثقافات، تحفظ الحياة بالحدس، وبالخبرة المتراكمة، وبالإنصات العميق لدورة الطبيعة. عيد خدر إلياس ليس طقسًا رمزيًا فقط، بل منظومة أخلاقية—حياتية كاملة تنظّم علاقة

الإنسان بجسده

وبالأرض

وبالكائنات الأخرى

في أدقّ لحظة من السنة: لحظة ما قبل الانبعاث.

أولًا: شباط – شهر الهشاشة البيولوجية يأتي عيد خدر إلياس في شباط، وهو أخطر أشهر السنة بيولوجيًا. في هذا الزمن: مخازن الغذاء القديمة شارفت على النفاد

الجسد يخرج من شتاء طويل المناعة تكون في أدنى مستوياتها والطبيعة كلّها في حالة تهيؤ لا اكتمال إنه زمن لا يحتمل:

الأثقال الغذائية

ولا الإسراف

ولا العنف مع الجسد

وهنا تتجلّى الحكمة الإيزيدية.

ثانيًا: الحبوب في النظام الغذائي الإيزيدي – ضرورة لا خيار

في مثل هذه الفترة من السنة، يميل الإيزيديون تقليديًا إلى:

الحبوب والبقول والغذاء النباتي البسيط، ليس زهدًا فقط، بل ضرورة فسيولوجية.

الحبوب: تمدّ الجسم بطاقة بطيئة وثابتة تحافظ على حرارة الجسد تدعم الجهاز العصبي ولا ترهق الهضم وهي بالضبط ما يحتاجه الإنسان في مرحلة الانتقال من الشتاء إلى الربيع. هذا السلوك، الذي مارسه الإيزيديون عبر قرون، تؤكّده اليوم: علوم التغذية وطب الفصول والأنظمة الغذائية الحديثة لكنهم عرفوه بالعيش لا بالتحاليل.

ثالثا: تحميص الحبوب – جعل الغذاء قابلاً للحياة تحميص الحبوب في العيد ليس تفصيلاً عابرًا.

التحميص:

يُسهّل الهضم

يقلّل الرطوبة

ويجعل الحبة صالحة للجسد في وقت يكون فيه الهضم ضعيفًا وهو يوازي رمزيًا: تعريض البذرة لحرارة خفيفة كي تستعدّ للحياة لا كي تدمَّر. إنها نار شباط: نار الإيقاظ، لا نار الإحراق.

رابعًا: الامتناع عن قتل الكائنات – أخلاق ما قبل الولادة من أعمق قوانين الوعي الإيزيدي في هذه الفترة من السنة تحريم قتل الكائنات الحيّة. ليس بدافع الشفقة المجردة، بل لأن الطبيعة كلّها في حالة حمل. في شباط: كثير من الحيوانات تكون حاملاً الطيور تحمل بيوضها

الأسماك تستعدّ للتكاثر وحتى الحشرات في طور التكوين قتل كائن في هذا الوقت يعني: قطع حياة قبل أن ترى النور.

وهنا يصبح الامتناع عن القتل: فعل احترام لدورة الحياة لا مجرّد محظور ديني

خامسًا: حين يسبق الطقس القانون ما مارسه الإيزيديون كطقس وأخلاق، تحوّل اليوم إلى قوانين رسمية في كثير من دول العالم.

في عشرات البلدان: تمنع مواسم الصيد يُحرَّم صيد الطيور والأسماك تحدَّد فترات حماية للتكاثر ليس لأسباب دينية، بل لأن العلم أدرك متأخرًا أن: حماية الحياة في لحظة تكاثرها هي حماية للمستقبل كله. وما هو لافت: أن هذه القوانين ما زالت سارية حتى اليوم، بينما مارسها الإيزيديون قبل أن تسمّى علمًا أو تشريعًا.

سادسًا: الكعكة المالحة – ضبط الجسد والوعي الكعكة المالحة في العيد ليست طقس حظ فقط، بل تمرين جسدي–نفسي. الملح: يوقظ العطش يقلّل الشهوة الغذائية ويُدخل الجسد في حالة انتباه

والنوم بعده دون ماء يخلق: حلمًا واضحًا أو صورة داخلية أو رسالة من اللاوعي.

هنا الجسد: لا يُقمع ولا يُدلَّل بل يُضبط ليكون أداة إدراك.

سابعًا: العائلة – المختبر الأول للأخلاق كل هذا يحدث: داخل البيت بين الأم والأبناء حول الطعام البسيط أي أن الأخلاق: لا تدرَّس بل تعاش الطفل الذي يكبر على: احترام البذرة احترام الحيوان احترام التوقيت الطبيعي لا يحتاج لاحقًا إلى قانون صارم كي يحترم الحياة.

ثامنًا: خدر إلياس – رمز الحياة التي لا تستعجل خدر إلياس ليس رمزًا للقوة الظاهرة، بل للحياة التي تنمو بصمت. هو: خضرة تحت التراب جنين في الرحم، بيضة لم تنكسر بعد والعيد كلّه يقول: لا تستعجل الحياة، دعها تكتمل، وستعود أقوى.

خاتمة الفصل (موسَّعة)

عيد خدر إلياس: ليس احتفالًا، بل قانون حياة. قانون يقول: كُل ما يناسب جسدك لا تقتل حين تكون الحياة هشّة انتظر بدل أن تستهلك واحمِ البذرة قبل أن تطلب الثمر بهذه الحكمة، سبق الإيزيديون: علوم التغذية وأخلاقيات البيئة وقوانين حماية الكائنات لا لأنهم قرؤوا كتبًا، بل لأنهم أصغوا للطبيعة. وهكذا بقي العيد، لا كذكرى، بل كدليل حيّ على أن أقدم القوانين هي تلك التي تحمي الحياة حين تكون في بدايتها

الفصل الخامس والعشرون: الختم الشمسي بين سومر ولالش

رحلة الرمز عبر الأزمنة

أوجه التشابه بين الشعب الأيزيدي وأبناء الحضارات القديمة

مقدمة: ثمّة رموزٌ لا تموت، حتى لو تغيّرت الحضارات وتبدّلت الألسنة وانهارت المدن.

ومن بين هذه الرموز، يظل القرص الشمسي ذو الأشعة – الختم الذي حمله شمش السومري، وارتفعت به يد الملك الآشوري، ونُحت على صخور بابل – واحدًا من أكثر الرموز التي واصلت حياتها بلا انقطاع. واليوم، يعود هذا الرمز ليظهر في لالش، أقدم معبد حيّ في تراث الشرق، ليؤكد أن نور الشمس لم يُطفأ، وأن الذاكرة الروحية لهذه الأرض أعمق من كل ما حاول التاريخ محوه.

أولاً: جذور الختم الشمسي في الحضارة السومرية والآشورية والبابلية

1.القرص الشمسي... لغة النور، ظهر الرمز في سومر بشكل قرص دائري تتفرّع منه ثمانية أشعة، ترمز إلى:

الجهات الأربعة

الفصول الأربعة

الدورة الزمنية

نور الشمس

العدل الإلهي

وسُمّي في سومر باسم: (Utu) شمش – إله الشمس والنهار والعدل. وفي آشور وبابل ظلّ الشكل نفسه: قرصٌ دائري في يد الإله أو الملك، يُستخدم كرمز للسلطة الشرعية والعلم والحماية.

2.الختم في يد الآلهة والملوك لم يكن مجرد زينة. كان "ختم النور"، الذي يرفعه الإله أو الملك ليقول: أنا حامل النور... وهذه سلطتي. ولذلك نجده في: يد شمش ذراع الآلهة المجتحة أساور القادة أختام الكهنة بوابات المعابد إنه رمز الحقّ، لا سلطان فوقه

.

ثانياً: لالش – الذاكرة التي حافظت على الرمز

1 .الرمز على جدران لالش، يؤكّد العديد من الزوّار والباحثين أن القرص الشمسي المنحوت موجود على إحدى صخور لالش، خصوصًا قرب المداخل أو الجدران القديمة.

2 .لماذا يظهر الرمز في لالش؟ لأن لالش:

مركز نور

قبلة روحية

استمرار لحكمة الشرق القديم، موضع تقديس للطاقة الشمسية، بيت طقوس مرتبطة مباشرة بالشمس والفصول في الإيزيدية، الشمس ليست جرمًا سماويًا فقط، بل مبدأ روحي، يُسمّى: شيشم ، شيشمس ، خوداني روژی وهي امتداد مباشر لإله الشمس في سومر.

ثالثاً: رمزية الشمس في الإيزيدية – استمرار شمش القديم

1.شيشم... القلب الشمسي في الديانة

الإسم (شيشم) قريب جدًا من (شمش). ومهمّاته متطابقة:

النور

العدل

كشف الظلام

الحماية

منح البركة

تنظيم الفصول والمواسم

ولذلك كان الختم الشمسي رمزًا طبيعيًا أن يبقى حيًا في لالش.

2 .الشمس في الطقوس الإيزيدية يحضر النور في كل شيء: الصلاة

باتجاه الشمس

التبريكات

عيد بيلندا

عيد شيشم

الانقلاب الشتوي

القباب المخروطية التي تشير إلى الشمس

التحيات الدينية التي تبدأ بالنور

كلها دليل على أن دين الشمس لم يُمحَ من شنكال ولالش.

رابعاً: استمرارية الرمز عبر المقابر والخراب

1 .الشمس على قبور الإيزيديين، حتى المقابر الإيزيدية، التي هدمها الأعداء في فترات قريبة، كانت تحمل النقش الشمسي.

وفي صورة متداولة لحجر قبر مدمّر، يظهر:

قرص الشمس

أشعته الحجرية

مركزه المشع

كأنه يقول: حتى وإن هدم الجدار... يبقى النور

2 .ماذا يعني ذلك؟

أنه لم يعد الرمز محصورًا في المعابد، بل دخل في: هوية الموتى

تذكارات القبور

العلامات الروحية

الذاكرة الشعبية

هذه استمرارية لا يمكن أن يحصل عليها رمز عادي...

بل رمز قدسي، عاش في القلوب قبل الحجارة.

خامساً: الخلاصة – رحلة الشمس التي لم تنقطع من سومر إلى آشور إلى بابل إلى لالش... ومن نقوش المعابد إلى حجارة القبور... ومن شمش إلى شيشم... يبقى الختم الشمسي لغة واحدة، تقول: النور هو الأصل... وهو الذي يبقى.

الفصل السادس والعشرون: كَل كَاميش

من اسم فرد إلى ذاكرة شعب.

في الوعي الأكاديمي السائد، يُقدَّم كلكامش بوصفه ملكًا فردًا، بطلًا ملحميًا نصفه إله ونصفه إنسان، خاض مغامرات كونية بحثًا عن الخلود، وترك لنا واحدة من أقدم الملاحم المكتوبة في تاريخ البشرية. لكن حين نعيد قراءة الاسم نفسه، لا من خارج النص، بل من داخل البيئة الرافدينية الحيّة، ومن خلال الذاكرة اللغوية–الثقافية الإيزيدية، تبدأ الأسئلة بالظهور. هل كان كلكامش فعلًا اسم شخص؟ أم أننا أمام اسم كيان بشري كامل تحوّل مع الزمن إلى اسم

ملك؟ الاسم بوصفه تركيبًا لغويًا لا علَمًا شخصيًا في اللسان الإيزيدي القديم، تحمل كلمة «كل» دلالة واضحة على: القوم، الشعب، الجماعة، أهل المكان. وهي دلالة لا تزال حيّة في الذاكرة الشفوية.

أما «كاميش» فتشير إلى الجاموس، الحيوان الذي شكّل العمود الفقري للحياة الاقتصادية والبيئية في مناطق الأهوار والجبايش جنوب بلاد ما بين النهرين. وبذلك يصبح التركيب:

كل كاميش = شعب الجاموس أو أهل الأهوار المرتبطون بالجاموس حياةً ومعاشًا وهوية. وهنا نقترب من قراءة مختلفة للملحمة: ربما لم يكن «كلكامش» هو اسم الملك، بل اسم الشعب الذي كان يحكمه. ومع انتقال الروايات، واندماج الاسم بالصفة، أصبح اسم الكيان هو اسم الحاكم نفسه. وهذا التحوّل ليس غريبًا في التاريخ القديم، حيث كثيرًا ما: ينسب اسم الأرض إلى الملك أو يختصر اسم الجماعة في شخص واحد خاصة في المجتمعات التي سبقت التدوين الدقيق للأسماء الفردية كما لا نقول إن اسم ملك الأردن هو «الأردن»، كذلك يصبح من المشروع التساؤل: هل كان «ملك كل كاميش» اسمه الحقيقي شيئًا آخر طمسه الزمن؟ كلكامش... فهم الحياة لا البحث عن المجد في الملحمة، لا يظهر كلكامش بوصفه محاربًا فقط، بل إنسانًا قلِقًا، يطرح أسئلة الوجود:

لماذا نموت؟

ما معنى الحياة؟

هل الخلود ممكن؟

هذه الأسئلة ليست أسئلة ملك متعالٍ، بل أسئلة شعب بأكمله واجه الفيضانات، والموت، والتحوّل، وعدم اليقين. وهنا يصبح كلكامش صوت الجماعة أكثر من كونه فردًا. مير مح: الصدى الإيزيدي للملك–الشعب في الذاكرة الإيزيدية، نجد قصة مير مح، ومقامه الغنائي الذي يتوارثه القوالون. ليست القصة مجرد حكاية شعبية،

بل سردية وجودية:

بطل يواجه الفقد

يبحث عن المعنى

يصطدم بحدود القوة

ويتعلّم الحكمة عبر الألم

التشابه بين مير مح وكلكامش ليس في التفاصيل السطحية، بل في جوهر الحكاية: الإنسان القوي الذي يكتشف هشاشته، والحاكم الذي يتعلّم أن الخلود ليس في الجسد بل في الأثر.

وهنا لا نتحدث عن اقتباس مباشر، بل عن ذاكرة سردية مشتركة، حافظت عليها الثقافة الإيزيدية شفهيًا، بينما دوّنتها سومر طينيًا.

أوتونابشتم وسفينة النجاة: الذاكرة التي لم تغرق

في قلب ملحمة كلكامش، تظهر قصة أوتونابشتم، الرجل الذي نجا من الطوفان ببناء سفينة، وحمل الحياة معه.

هذه القصة ليست معزولة، بل فكرة مركزية في وعي مجتمعات وادي الرافدين: الطوفان، النجاة، الاختيار، استمرار الحياة واللافت أن فكرة السفينة، والخلاص الجماعي، والنجاة بالحكمة لا بالقوة، لم تختفِ من الذاكرة الإيزيدية، بل بقيت: في الأمثال، في القصص، في مفهوم «النجاة بالمعرفة وفي احترام الماء والطبيعة كقوى لا تقهر

من شخص إلى شعب... ومن ملحمة إلى ذاكرة بهذا المنظور، يمكن قراءة ملحمة كلكامش لا بوصفها قصة فرد، بل سيرة شعب كامل: عاش مع الجاموس واجه الفيضانات، بنى المدن، سأل عن معنى الحياة وترك أثره في اللغة والطقس والذاكرة والإيزيديون، بوصفهم أحد الامتدادات الحيّة للذاكرة الرافدينية، لم يرثوا النص، بل ورثوا الروح.

خاتمة الفصل: كل كاميش قد لا يكون اسم رجل فقط، بل اسم شعب فهم الحياة قبل أن يدوّنها. ومير مح ليس مجرد بطل غنائي، بل صدى لذلك السؤال القديم الذي ما زال يسكننا: كيف نعيش بكرامة... ونحن نعرف أن الخلود ليس لنا

الفصل السابع والعشرون: چارشەما سەرێ سالێ

صورة البيض الملون والورود وزهور شهر نيسان بمناسبة عيد چارشەما سەرێ سالێ

حين تتنفّس الأرض... ونشاركها الفرح لا يأتي عيد (چارشەما سەرێ سالێ) فجأة. إنه لا يطرق الأبواب صباح الأربعاء فقط، بل يبدأ قبل ذلك بزمنٍ خفيّ، حين تشعر البيوت أن الضوء تغيّر، وأن الهواء صار أخفّ، وأن القلب صار أكثر استعدادًا للفرح. قبل العيد بأسابيع، تبدأ الأمهات بجمع البيض من دجاجاتهنّ. لا على عَجَل، ولا بدافع الكثرة، بل بصبرٍ يشبه انتظار البذرة في باطن الأرض. كل بيضة توضع جانبًا وكأنها وعدٌ صغير، وكل وعدٍ ينتظر يوم اكتماله. وفي اليوم الذي يسبق العيد، يخرج الفتية والفتيات من القرى والقصبات إلى الحقول المفتوحة، إلى الخِرَج، حيث لا جدران، ولا أسقف، بل سماء قريبة، وأرض ما زالت رطبة بذاكرة المطر.

يبحثون عن الزهور، عن الألوان التي لم تلوّثها الأيدي، عن الوردة الحمراء قبل غيرها، لأن الأحمر هنا ليس لونًا فقط، بل حرارة الحياة ونبض البداية. كان المشي في تلك الساعات طقسًا بحد ذاته. الرياح لا تقاوَم، بل تستقبل.تلامس الروح قبل أن تدخل الرئة، وتخبر الجسد أن الشتاء انسحب بهدوء، وأن الربيع لم يأتِ ليُعلن نفسه، بل ليُشعَر به. تعود الزهور إلى البيوت محمولةً بالضحك، بالأغاني الخفيفة، وبفرحٍ لا يحتاج إلى تفسير.

وفي المساء، تعجن ربة المنزل قليلًا من الطين، طينٍ مأخوذ من الأرض نفسها، وتبدأ بلصق الزهور وقشور البيض الملوّن في أعلى أبواب البيوت.

الباب هنا ليس خشبًا، إنه حدٌّ بين عالمين: الداخل حيث الإنسان، والخارج حيث الطبيعة. وحين تعلّق الزهور والبيض عليه، فكأن البيت يعلن: نحن جزء من هذه الدورة، ولسنا غرباء عنها. في قلب العيد، تلوَّن البيوض. لا كزينة، بل كفعل مشاركة مع الكون. البيضة في الوعي الإيزيدي ليست طعامًا فقط، بل صورة مصغّرة للعالم: قشرتها تشبه قشرة الأرض، بياضها كمياهها التي تغطّيها صفارها كنواتها الدافئة، القلب الذي لا يُرى لكنه يمنح الحياة معناها وحين نلوّن البيض، فنحن لا نغيّر شكله، بل نحتفي به. كأننا نقول للطبيعة: نراكِ... ونفرح معكِ. بعد يوم العيد، أو في يومه، تخرج العائلات إلى الحقول من جديد.

يزورون المزارع،

يمرّون على المواشي،

يقفون بين الزرع،

ويقشّرون البيض هناك، على الأرض نفسها التي أنبتت الحلم.

تؤكل البيوض بهدوء، وتقال الأدعية بصوت منخفض، لا لأن الفرح خجول، بل لأنه عميق:

"لتكن السنة خيرًا"

"لتكن الأرض معطاءة"

"ليكن رزقنا مباركًا"

"وليكن الخير للجميع، لا لنا وحدنا"

هذا الدعاء ليس طلبًا، بل اتفاق صامت مع الطبيعة. نحن نحترمكِ، فنرجو أن تحتضنينا. وإلى اليوم، لا يزال هذا الطقس يُمارَس. لم يُلغِه الزمن، ولم تفسده الحداثة. لأنه لم يكن عادة، بل حاجة روحية. كما كانت شعوب سومر وبابل تحتفل في هذا الوقت من السنة بعيد أكيتو، وتعلن بداية الزمن الجديد، كذلك يعلن الإيزيديون في (چارشەما سەرێ سالێ) بداية دورة أخرى للحياة، دون صخب، ودون ملوك، ودون أسوار.

فالعيد هنا، لا يُقام في المعابد فقط، بل في الحقول، وعلى الأبواب، وفي الهواء، وفي قلوب الناس حين يشعرون أنهم ليسوا وحدهم في هذا الكون.

فرح التوقيت وحكمة العودة السنوية

چارشەما سەرێ سالێ بوصفه جرعة أمل جماعية ليس الفرح في الوعي الإيزيدي حالة عابرة، ولا ترفًا روحيًا، بل ضرورة وجودية. لذلك يأتي چارشمه سەرى سالێ في توقيتٍ مدروس بعناية الطبيعة نفسها، حين تنسحب قسوة الشتاء، وتستعيد الأرض أنفاسها الأولى، وتبدأ الألوان بالظهور من جديد كإعلان صامت عن عودة الحياة. في تلك الأيام الجميلة، لا تتزين المدينة عبثا، ولا تتفتح الأبواب صدفة، بل لأن الزمن ذاته يصبح مهيّأً للفرح. الهواء أخفّ، الضوء ألين، والروح أكثر استعدادًا للتلقي. وكأن الطبيعة تقول للإنسان: الآن يمكنك أن تفرح... لأن الحياة قررت أن تستمر. الفرح كحكمة، لا كغفلة الفرح في هذا العيد ليس نسيانًا لما مضى، بل تجاوزًا واعيًا له. هو وقفة شكر بعد زمن من الصبر، وإعلان داخلي بأن الإنسان ما زال قادرًا على البدء من جديد. لذلك يلبس الإيزيدي الألوان، ويشارك الآخرين طقوس البهجة، لا ليهرب من الواقع، بل ليؤكّد انتصاره عليه. إن الحكمة من هذا الفرح تكمن في كونه: يعيد التوازن النفسي

يرمم العلاقة مع الطبيعة

ويجدد الثقة بدورة الزمن

التوقيت: حين يلتقي الداخل بالخارج لم يُختر هذا العيد في قلب الشتاء ولا في حرّ الصيف، بل في مرحلة التحوّل. وهذا ما يمنحه عمقه الحقيقي: فالإنسان، مثل الأرض، يحتاج إلى لحظة انتقال، إلى مساحة بين ما كان وما سيكون. في چارشەما سەرێ سالێ، يتلاقى:

فرح الفرد بفرح الجماعة

أمل البيت بأمل القرية

وطمأنينة الروح بإيقاع الكون

العودة السنوية: طقس الأمان

أن يعود العيد كل عام، في الوقت ذاته، وبالرموز ذاتها، هو رسالة أمان. فالاستمرارية بحد ذاتها طمأنينة، والطقس المتكرر يقول للإنسان: ما زلتَ جزءًا من هذا العالم، وما زال لك مكان في دورته.

لهذا يحتفل الإيزيدي به جماعيًا وفرديًا:

جماعيًا ليشعر أنه ليس وحده

وفرديًا ليصالح ذاته مع الزمن

جرعة أمل لموسم جديد

ليس الهدف من هذا العيد أن ينتهي عند يومه، بل أن يترك أثره فيما بعده. إنه جرعة أمل تخزّن في الذاكرة، وشحنة معنوية للانطلاق نحو موسم جديد بكل عزم وحماسة. فالفرح هنا ليس

نهاية، بل بداية. بداية عمل، وبداية زرع، وبداية ثقة بأن القادم يحمل إمكانية أفضل

الأربعاء المقدّس وأول أربعاء من نيسان

الجذور الكونية والرافدينية في الثقافة الإيزيدية ومقارنتها باحتفالات الشعوب يُعدّ يوم الأربعاء من الأيام ذات الحمولة الرمزية العميقة في الثقافات القديمة، إذ لم يكن يُنظر إليه بوصفه يومًا عاديًا في دورة الأسبوع، بل باعتباره زمنًا وسيطًا يحمل معنى التوازن والتحوّل والوعي. وقد ارتبط هذا اليوم في أغلب الحضارات القديمة بكوكب عطارد، كوكب العقل والكلمة والمعرفة، وهو ارتباط يمنحه بُعدًا فكريًا وروحيًا يتجاوز المفهوم الزمني البسيط.

أولًا: الأربعاء في حضارات وادي الرافدين في الحضارات السومرية والأكدية والبابلية، ارتبط كوكب عطارد بالإله نبو، إله:

الكتابة وتدوين المصائر

الحكمة والمعرفة

الألواح الطينية والكلمة المقدسة

كان نبو يُعدّ الوسيط بين العالم الإلهي والعالم الإنساني، ولذلك ارتبط يومه بطقوس هادئة قائمة على التفكّر والتدوين والتعليم، لا على الحرب أو الصخب. ومن هنا غدا الأربعاء يومًا مناسبًا للتأمل العقلي وتنظيم شؤون المعرفة، وهو ما ينسجم مع كونه يقع في منتصف دورة الأسبوع، أي في موضع التوازن الزمني.

ثانيًا: الأربعاء في الثقافات المتوسطية والشرقية القديمة

١. الإغريق: ارتبط الأربعاء بالإله هرمس، رسول الآلهة ودليل الأرواح، وحارس العبور بين العوالم. وكان يومه مناسبًا:

للسفر

لنقل الرسائل

للتجارة

للتواصل الروحي والفكري

٢. الرومان: سمّوا الأربعاء Dies Mercurii (يوم ميركوري)، وعدّوه يومًا للعقود والعهود وتنظيم المصالح، لا يومًا للحروب، مما يعكس طبيعته العقلية والتنظيمية.

٣. الثقافات الشعبية في الشرق الأدنى نُظر إلى الأربعاء بوصفه يومًا "بينيًا"، أي ليس بداية ولا نهاية، بل زمنًا حساسًا يتطلب الحذر والسكينة، وهو فهم يعكس وعيًا مبكرًا بقوة هذا اليوم التحويلية.

ثالثا: الأربعاء في الثقافة الإيزيدية – يوم الراحة والعبادة في العقيدة الإيزيدية، يحتل يوم الأربعاء مكانة دينية واضحة:

هو يوم عطلة مقدسة

يُخصص للراحة

للعبادة

للتأمل الروحي

والابتعاد عن الأعمال الشاقة ولا يمكن تفسير هذا السلوك بوصفه عادة اجتماعية فحسب، بل هو تعبير عن فلسفة زمنية قديمة ترى في الأربعاء يوم توازن ومراجعة واتصال روحي، وهو ما ينسجم بوضوح مع الإرث الرافديني المرتبط بعطارد/نبو.

رابعًا: أول أربعاء من نيسان – العيد الإيزيدي الكبير تتجلى قداسة الأربعاء في ذروتها في عيد أول أربعاء من شهر نيسان حسب التقويم الإيزيدي، وهو: يقع بعد الاعتدال الربيعي يأتي وفق التقويم الإيزيدي المتأخر عن الميلادي بنحو ١٣ يومًا يُمثل بداية دورة الحياة الجديدة عيد الخلق والنور والخصب وتجدد الوجود في هذا العيد:

تتوقف الأعمال

تزيَّن البيوت

تلوَّن البيوض رمزًا للخلق

تعلّق الزهور

وتستحضر فلسفة ولادة الكون والطبيعة من جديد وهو بذلك عيد كوني مرتبط بدورة الطبيعة لا بحدث تاريخي عابر.

خامسًا: شعوب أخرى واحتفالات متقاربة زمنيًا

١. السومريون والبابليون: احتفلوا بـ عيد أكيتو في مطلع شهر نيسان، وهو عيد رأس السنة وتجدد النظام الكوني، ويتقاطع زمنيًا ورمزيًا مع عيد أول أربعاء نيسان الإيزيدي.

٢. الإيرانيون القدماء احتفلوا بـ نوروز عند الاعتدال الربيعي، بوصفه عيدًا لتجدد الحياة والنور والنظام الكوني.

٣. شعوب الأناضول وبلاد الرافدين عرفت طقوسًا زراعية ربيعية مرتبطة ببداية الحراثة والزرع، واحترام أيام معينة للراحة والبركة والتوازن مع الطبيعة.

٤. في الزمن الحديث لا تزال شعوب كثيرة تحتفل ببدايات الربيع، وإن اختلفت التسميات، إلا أن المضمون واحد: بداية الحياة – توازن الكون – قداسة الزمن.

خلاصة رمزية إن تخصيص يوم الأربعاء للراحة والعبادة في الثقافة الإيزيدية ليس طقسًا معزولًا، بل هو امتداد حيّ لذاكرة ميزوبوتامية عميقة، تربط بين:

عطارد

نبو

الكلمة

الحكمة

والزمن الوسيط

أما عيد أول أربعاء من نيسان، فيمثل التقاء الزمن الكوني بالتقويم الزراعي والرمز الديني في احتفال واحد، حافظ عليه الإيزيديون بوصفهم حراسًا لذاكرة الخلق الأولى الممتدة من سومر حتى لالش

خاتمة الفصل: چارشەما سەرێ سالێ ليس ذكرى، بل ممارسة حيّة.

ليس حكاية عن الماضي، بل استمرار له. وفي كل مرة نقشر فيها بيضة على الأرض، ونرفع أعيننا نحو السماء، ونتمتم بدعاء بسيط، نكون قد فعلنا ما فعله أسلافنا منذ آلاف السنين: شاركنا الطبيعة فرحها... فشاركتنا الحياة ديمومتها.

الفصل الثامن والعشرون: أسماء الإيزيديين والسومريين

ذاكرة السماء والأرض

الأسماء ليست مجرد كلمات يُنادى بها الإنسان، بل مرايا روحية وثقافية، تحمل قصص الأجداد، رموز الطبيعة، ودلالات كونية. في التراث السومري والإيزيدي، كل اسم يحمل البصمة الكونية للفرد منذ ولادته، ويعكس فهم أسلافنا العميق للعلاقة بين الإنسان والسماء والأرض. الأسماء النسائية: رمز الخصوبة والنمو الأسماء المخصصة للنساء غالبًا ما تحمل معاني مرتبطة بالماء، المطر، النبات، الخصوبة، وتجدد الحياة:

إحدى القرى الأيزدية في العراق

الاسم والمعنى الرمز الثقافي والفلكي

نساء ايزيديات في أرمينيا في بداية القرن العشرون

خوناف: المطر الخفيف أو الرذاذ، رمز الحماية، النقاء، وبركة السماء على الأرض

باران: (المطر)حياة الأرض، دورة الزرع والنمو، مرتبط بالخصوبة

نيسان: (الشهر الرابع) بداية الربيع، تجدد النبات والزرع، الشمس صاعدة على خط الاستواء

گولان:(الشهر الخامس) الذروة الزراعية، بداية قوة الشمس، التوازن بين النهار والليل

بيبون: زهرة صغيرة: الجمال والنمو، بداية الحياة النباتية

ملاحظات: هذه الأسماء كانت تستخدم لتوثيق دورة الفصول والزراعة. بعض الأسماء مرتبطة بالطقوس الزراعية أو الاحتفالات الموسمية، مثل عيد نيسان/گولان.

اختيار الاسم كان بمثابة برمجة كونية للطفل: ارتباطه بالنظام الطبيعي منذ البداية. الأسماء الذكورية: رمز القوة والنور الأسماء المخصصة للرجال غالبًا ما تشير إلى الشمس، الطاقة، الاستقرار، والشجاعة.

رجال ايزيديين في جنوب جبل سنجار في بدايات القرن العشرون

ملاحظات: أسماء الرجال ترتبط بالقدر والوظيفة الاجتماعية، مثل القيادة، القوة، وحماية المجتمع.

بعض الأسماء مرتبطة بالنجوم والكواكب، مثل الشمس والقمر، ما يربط الشخص بالفلك وبالزمن الموسمي.

الأسماء الذكورية تحمل الرمز الكوني بشكل مباشر، بينما النسائية تعكس الخصوبة والدورة الطبيعية.الأسماء والفلك: العلاقة بالسماء في التراث الإيزيدي والسومري: الأسماء غالبًا مرتبطة بمواقع النجوم والكواكب عند ولادة الطفل.

أشهر الأمثلة: "نيسان" و"گولان" تشير إلى مواقع الشمس والفصول الزراعية.

"شمو" و"سمو" تشير إلى الشمس في ذروتها أو الشروق/الغروب.

"خوناڤ" و"باران" مرتبطة بأمطار الشتاء والربيع، لضمان الخصوبة والبركة.

يمكن القول إن اختيار الاسم كان تفسيرًا كونيًا لحياة الطفل، وجعله جزءًا من دورة الطبيعة منذ البداية.

الأسماء كحافظة للذاكرة

الأسماء في هذا السياق تعمل كـ: سجل بيئي: تعكس الفصول، المطر، الشمس، والنبات.

سجل اجتماعي: تحدد دور الفرد في المجتمع، سواء كقائد أو كحافظ للزرع والنماء.

سجل ثقافي: تحافظ على التراث القديم، وترسخ الرموز والطقوس، مثل عيد نيسان وگولان.

بذلك، تصبح الأسماء ذاكرة حية تربط الماضي بالحاضر، والسماء بالأرض، والإنسان بالمجتمع والطبيعة.

التحليل الرمزي العميق

الأسماء النسائية: المطر، النبات، الخصوبة، النقاء ⟶ حياة مستمرة.

الأسماء الذكورية: الشمس، القوة، الاستقرار، الظل ⟶ حماية واستمرارية المجتمع.

كلا النوعين معًا يعكس تكامل الإنسان مع الكون، حيث كل فرد له موقع في دورة الحياة والفصول والطبيعة.

استمرار هذه الأسماء بين الإيزيديين حتى اليوم يدل على عمق الذاكرة السومرية وارتباطها بالطقوس والفلك.

خلاصة الفصل: تؤكد دراسة الأسماء بين الإيزيديين والسومريين:

أن الاسم هو ترجمة للكون على الأرض.

أن النساء يمثلن الخصوبة والنمو، والرجال يمثلون القوة والنور.

أن كل اسم يحمل رمزية فلكية وطبيعية متصلة بدورة الفصول.

أن هذه الأسماء جسر بين الإنسان والسماء، وتستمر كذاكرة حية تربط الماضي بالحاضر.

الأسماء إذن ليست مجرد كلمات، بل لغة الكون التي تترجم السماء إلى حياة بشرية، وتجعل الفرد جزءًا من النظام الكوني منذ ولادته.

الفصل التاسع والعشرون: المخلص في الثقافات من ديموزي تموز إلى المهدي شرف الدين وبقية الشعوب

تقديم النذر والقرابين والعطايا قديما لدى السومريين

المخلص أو المنقذ هو رمز عالمي في الفكر البشري، لكنه لا يظهر دائمًا كشخص حي. في كثير من الثقافات القديمة، كان المخلص رمزيًا للطبيعة، الموسم، أو القوى الكونية التي تنقذ البشر من الشدة والفقر والجوع.

في بلاد ما بين النهرين، برز تموز أو ديموزي، الإله المرتبط بالموت والبعث والخصوبة، كرمز للوفرة والإنقاذ بعد شدة الشتاء والجوع.

وهذا النموذج الكوني أصبح لاحقًا نواة الفكرة التي أخذتها ثقافات أخرى وصوّرتها على شكل أبطال أو منقذين بشريين.

1.ديموزي – تموز: المخلص الطبيعي في الثقافة السومرية والبابلية، كان ديموزي/تموز مرتبطًا بالدورة الزراعية، موت النبات الشتوي وولادة الحياة مجددًا في الصيف. وظيفته: ضمان الخصب والوفرة بعد الشدة، وهو المخلص الذي ينقذ الإنسان من الجوع ويعيد الأمل بعد القحط. الطقوس المرتبطة به شملت الصلوات، التضحيات الرمزية، والمهرجانات التي تعكس الارتباط بين الإنسان والكون.

ديموزي إذًا هو المخلص الأول الذي لم يكن إنسانًا، بل موسمًا ومبدأ طبيعيًا.

2.الإيزيدية: المهدي شرف الدين كمخلص رمزي في الذاكرة الإيزيدية، يظهر المخلص على شكل شخصيّة رمزية تحمل اسم المهدي شرف الدين، وهو ليس مجرد قائد سياسي أو ديني، بل رمز لاستمرار الحياة والعدل بعد الشدة. العلاقة بين المهدي شرف الدين وفكرة تموز/ديموزي واضحة: كلاهما يمثل الفصل الذي يعيد الوفرة بعد الحرمان، سواء على مستوى الأرض أو المجتمع.

الطقوس الإيزيدية التي تقام في مواعيد معينة من السنة تشير إلى الشكر للمنقذ الطبيعي والرمزي، مثل الاحتفال بالحرث والزرع ومواسم الجني.

هنا، تتحول الرمزية الطبيعية القديمة إلى رمزية اجتماعية/دينية، لكنها تحتفظ بالجوهر: إنقاذ الناس بعد فترة حرمان أو قسوة.

3 .المسيحية: المسيح المخلص في المسيحية، يظهر المخلص أو المسيح، الذي يجلب الخلاص من الخطايا، ويرمز للحياة بعد الموت الروحي.

كثير من الباحثين يرون أن الأفكار الرمزية عن المنقذ والبعث بعد الموت أو القحط لها جذور في ثقافات بلاد ما بين النهرين، ومنها فكرة تموز/ديموزي.

الطقوس المسيحية مثل عيد الفصح تعكس أيضًا الوفرة والبعث بعد الشدة، ما يشبه دورة تموز الطبيعية التي كانت تعيد الحياة بعد الجوع.

4 .شعوب وثقافات أخرى، المصريون القدماء: أوزوريس، الذي يُقتل ويبعث، يعكس دورة الحياة والموت والخصوبة.

الفينيقيون والكنعانيون: كانت لهم آلهة مرتبطة بالخصوبة والزرع، تعكس نفس الفكرة.

الأمريكيون الأصليون، الأفارقة، والآسيويون: كثير من الطقوس الاحتفالية مرتبطة بالمواسم الزراعية، والمطر، والشمس، وتمثل رمزية المنقذ الموسمي.

خلاصة: معظم الثقافات القديمة لم تنتظر شخصًا حيًا، بل الطبيعة نفسها، أو الموسم، أو الإله المرتبط بالمواسم، ليكون المنقذ الحقيقي.

5 .التحليل الرمزي العميق

الطبيعة كمنقذ أول: تموز يمثل الوفرة بعد الجوع، المطر بعد القحط، الشمس بعد الشتاء الطويل.

الرمزية البشرية لاحقًا: كما في المهدي عند الإيزيدية ، والمسيح عند المسيحيين، تظهر الشخصية البشرية كامتداد للرمزية الطبيعية.

الديمومة: الفكرة تنتقل عبر الأجيال، من التقدير المباشر للطبيعة إلى الاحتفاء بالإنقاذ الروحي والاجتماعي.

العمل والجهد: كما في الزراعة القديمة، لا يوجد إنقاذ دون عمل مسبق؛ فالمنقذ يكافئ الجهد الجماعي ويعيد النظام الطبيعي والاجتماعي.

خلاصة الفصل: أصل فكرة المخلص يعود إلى ديموزي تموز، رمز الوفرة والبعث بعد الشدة.

في الإيزيدية، ظهر المخلص باسم المهدي شرف الدين، حاملًا للرمزية نفسها: الإنقاذ بعد الجوع والحرمان، واستمرار الحياة.

في والمسيحية، تطورت الفكرة لتصبح إنقاذًا اجتماعيًا وروحيًا، لكنها ما زالت متجذرة في النموذج الطبيعي القديم.

عبر كل هذه الثقافات، يظهر جوهر واحد: المخلص مرتبط بالجهد، الطبيعة، والوفرة بعد الشدة، سواء كان موسميًا أو شخصيًا.

باختصار، الإنسان القديم في كل الشعوب كان يعرف أن النجاة ليست دائمًا من شخص، بل من الطبيعة نفسها، وأن الشخصيات التي نتحدث عنها اليوم هي ترجمة رمزية لهذه الحقيقة القديمة

الفصل الثلاثون: الخودانات

من الآلهة السومرية إلى القوى الكونية في الوعي الإيزيدي

1 .مفهوم الخودان: من الإله الشخصي إلى القوة الوظيفية في الثقافات الرافدينية القديمة، لم يكن الإله كيانًا متعاليًا منفصلًا عن الطبيعة، بل قوة فاعلة داخلها. المصطلح الذي يختصر هذا الفهم هو الخودان؛ أي صاحب الفعل، أو القوة المسؤولة عن نظام محدد في الكون.

عند السومريين، تجسّد هذا الفهم في منظومة الآلهة، حيث كان لكل إله مجال كوني واضح: الماء، الهواء، الشمس، القمر، الخصب، العدل. لكن هذه الآلهة، رغم تشخيصها الأسطوري، كانت في جوهرها وظائف كونية منظّمة للحياة. أما في الإيزيدية، فقد حدث تطور نوعي في الفهم: لم تلغَ القوى ولم تنفَ الوظائف بل تحررت من التشخيص

الأسطوري وأعيد تنظيمها ضمن منظومة توحيدية، حيث يعمل كل خودان بوصفه مظهرًا من مظاهر النظام الإلهي الواحد.

2 .الخودانات في سومر: الوظيفة قبل الأسطورة عند قراءة الميثولوجيا السومرية قراءة معرفية، نلاحظ أن: إنكي لم يكن مجرد إله، بل خودان الماء، الحكمة، والخلق

إنليل كان خودان الهواء، النفس، والحركة

شمش (أوتو) هو خودان الشمس والعدل

نانا/سين هو خودان القمر والزمن والدورة

ديموزي (تموز) هو خودان الخصب، الموت، والعودة الموسمية التعدد هنا ليس صراعًا، بل تقسيم وظائف، وهو ما مهّد لاحقًا لتحول هذه القوى من "آلهة" إلى "خودانات" في الوعي الرافديني المتأخر.

3 .الخودانات في الإيزيدية: النظام دون أسطرة في الإيزيدية، لا نجد تعدد آلهة بالمعنى اللاهوتي، بل نجد: نظام خودانات يعمل بتناغم، دون صراع، ودون تشخيص جسدي.

خاتونا فخرا – خودان المرأة والخصب الإنساني

تمثل خاتونا فخرا قوة الأنوثة، الكرامة، والاستمرار البشري. هي ليست "إلهة" أنثوية، بل خودان ينظم حضور المرأة في الخلق والمجتمع، بما تحمله من معنى الولادة، الحماية، والستر.

ملك شيسن – خودان اللوح والقلم

ملك شيسن هو خودان المعرفة، الكتابة، والقدر المكتوب. يقابل في وظيفته السومرية مفاهيم قريبة من: نابو البابلي وامتدادات إنكي المعرفية اللوح والقلم هنا ليسا أدوات مادية، بل رمز قانون الكون والمعرفة المقدّرة.

خودان المياه امتداد مباشر لوظيفة إنكي السومري، حيث يُنظر إلى الماء بوصفه:

أصل الحياة

وذاكرة الأرض

ووسيط الخلق

في الإيزيدية، الماء مقدس لأنه حامل الحياة لا مالكها.

شيشم – خودان الشمس، شيشم هو خودان الشمس، النور، والميزان. الشمس هنا: ليست جرمًا فلكيًا فقط بل قانونًا أخلاقيًا كونيًا ويمتد مفهوم شيشم من شمش السومري، مع نزع الصبغة الأسطورية، والإبقاء على وظيفة العدل والنور.

خودان القمر: القمر في الإيزيدية هو خودان الزمن، الإيقاع، والتحول، يقابل نانا/سين السومري. لا يُعبد القمر، بل يُحترم بوصفه منظّم الدورات.

خودان البرق والمطر: يمثل قوة التفاعل بين السماء والأرض، وهو قريب من وظائف إشكر/أداد السومري. المطر ليس عقابًا ولا مكافأة، بل توازن كوني.

خةفةڕىَ ريَيا – خودان الطرق

خةفةڕىَ ريَيا :هو خودان الطريق، السفر، والتحول. الطريق هنا ليس جغرافيًا فقط، بل:

طريق الإنسان

طريق القدر

طريق المعرفة

وهو مفهوم نادر العمق، يربط الإيزيدية بفلسفة الحركة الرافدينية.

پيرێ جوّت – خودان الزراعة والبذر

پيرێ جوّت : هو امتداد مباشر لفكرة ديموزي/تموز، لكن بصيغة غير أسطورية. هو خودان:

البذر

العطاء

مشاركة الرزق مع باقي الكائنات ولهذا لا ينثر الإيزيدي بذرة إلا بعد ذكر اسمه.

خودان الطواحين: يمثل قوة التحويل من حبة إلى طحين من جهد إلى غذاء وهو خودان نادر الذكر في الثقافات الأخرى، لكنه يعكس قدسية العمل اليومي.

پيرێ لبنا – خودان الزواج

الزواج في الإيزيدية ليس عقدًا اجتماعيًا فقط، بل فعل كوني منسجم. پيرێ لبنا هو خودان: الارتباط والاستمرار، توازن الذكر والأنثى

4 .خلاصة الفصل: الخودانات ليست آلهة متعددة، بل: قوى كونية متخصصة داخل نظام إلهي واحد الإيزيدية لم تنفِ الموروث السومري، بل: نقّته، عقلنته وحررته من الأسطرة وبذلك حفظت جوهر الفكر الرافديني في أكثر صوره نضجًا. خلاصة معرفية سومر = تشخيص الوظيفة الإيزيدية = تحرير الوظيفة والإنسان = الشاهد المستمر على هذا التحول.

الفصل الحادي والثلاثون: من شوي الطين إلى تشويه المعنى

قراءة لغوية–حضارية في أصل تهمة «عبادة الشيطان

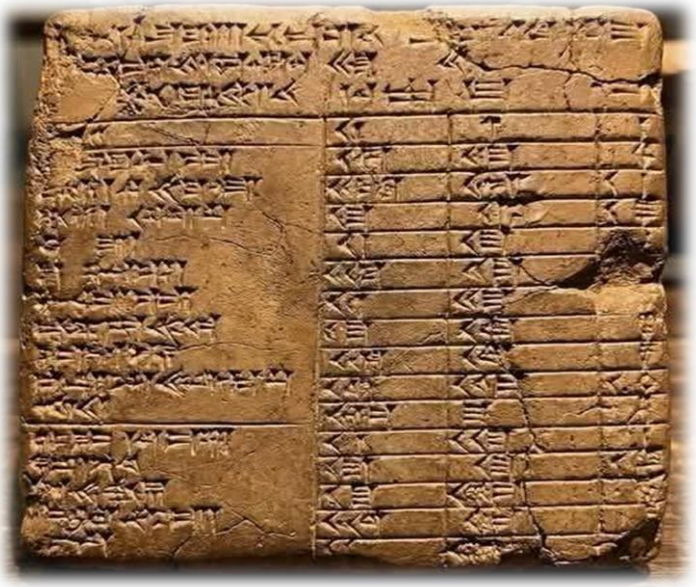

ملخص اكاديمي: تعتمد هذه المداخلة على المقارنة اللغوية والنصوص الرافدينية لإعادة قراءة بعض المفردات التي تعرّضت لتحريف دلالي عبر التاريخ، ومن بينها الجذر المرتبط بكلمات: شوتين (شواط) نشوطين في اللسان الإيزيدي، وما لحق به من إسقاطات لاحقة.

1 .الطين والنار: أساس الحضارة الرافدينية

تجمع الدراسات الأثرية على أن حضارات وادي الرافدين (سومرية، أكدّية، بابلية، آشورية) قامت ماديًا على الطين المحروق:

الألواح الطينية(Ṭuppu)

الطابوق المشوي

الفخار

الأفران الحرفية

وقد مثلت النار عنصر التحويل الأساسي من الهشاشة إلى الديمومة، وهو ما جعل الفخار والطابوق وسيط الذاكرة الأولى للإنسان.

2 .الجذر اللغوي في الأكدية والسومرية في الأكدية (بوصفها الامتداد اللغوي للسومرية) نجد: Šūṭu / Šāṭuاحترق، شوي

Šēṭu:أثر النار، اللهيب

lšātu:النار (ببعد طقسي)

وقد وردت هذه الجذور في: ألواح الحِرَف نصوص تطهير النار (سلسلة) (Šurpu نصوص العمارة والطقوس وهي جذور وصفية وظيفية، لا أخلاقية ولا شيطانية.

3 .الاستمرارية في اللسان الإيزيدي في الكرمانجية الإيزيدية المعاصرة

ما تزال تستخدم: شوتين = احترقوا

شوتي = تحترق

شوات = احتراق

بشوتين = أجعله يحترق

نشوتين = لا تحرقه

وهذا يقدّم مثالًا واضحًا على استمرارية لغوية شفوية منذ العصر الرافديني حتى اليوم، خاصة في المجتمعات التي حافظت على نمط العيش الزراعي–الطقسي القديم.

4 .شوي الطين، بوصفه فعلًا حضاريًا إن الربط بين: شواط / شوطين وشوي الطين وتحويله إلى فخار ليس افتراضًا اعتباطيًا، بل قراءة منسجمة مع الواقع المادي للحضارة الرافدينية، التي لا يمكن تخيّلها دون الأفران والنار والطابوق المشوي. بمعنى آخر: النار هنا أداة بناء لا رمز شر.

5 .من الوصف إلى التشويه الدلالي مع سقوط الحضارات الرافدينية، ودخول شعوب وأنظمة لا تنتمي لغويًا ولا ثقافيًا للمكان، حدث ما يُعرف في علم اللغة التاريخي بـ الانزياح الدلالي العدائي: بقاء اللفظ زوال السياق إعادة تفسير الكلمة أخلاقيًا وهكذا تحوّلت كلمات مرتبطة بالنار التحويلية إلى مفردات ذات دلالات سلبية في أطر دينية لاحقة.

6 .الإيزيديون وتهمة «عبادة الشيطان في هذا السياق التاريخي، يمكن فهم كيف تعرّض الإيزيديون – بوصفهم ورثة اللسان والطقس القديم– إلى إسقاطات لغوية–دينية خاطئة.

فالنار في العقيدة الإيزيدية: نور تطهير نظام كوني وليست كيانًا شيطانيًا، ولا موضوع عبادة للشر.

خلاصة: إن تهمة «عبادة الشيطان لا تستند إلى نص إيـزيدي أصيل، بل إلى تحريف لغوي وسوء فهم حضاري لرمزية النار ووظيفتها في أقدم حضارة إنسانية. وإعادة قراءة المفردات في سياقها الرافديني تظهر أن ما جرى هو تشويه معنى، لا كشف عقيدة.

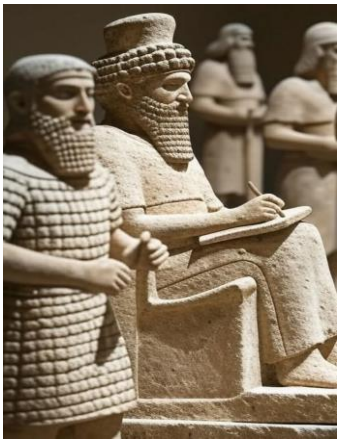

لوح طيني مع صورة معالجة بالذكاء الاصطناعي للشعب السومري

الفصل الثاني والثلاثون: الزمن المقدّس

فلسفة الوقت والدورة الكونية في الوعي الإيزيدي

ليس الزمن في الوعي الإيزيدي عددًا يُحصى، ولا خطًا يمتد من ماضٍ إلى مستقبل، بل هو كائن حيّ، يتنفّس مع الشمس، ويشيخ مع الفصول، ويتجدّد مع كل طقس يُعاد أداؤه. فالزمن هنا ليس إطارًا للأحداث، بل جوهر الوجود نفسه، ووعاء الذاكرة المقدّسة التي حملها الإنسان الإيزيدي عبر آلاف السنين، من سومر إلى لالش.

لقد أدركت الحضارات الرافدينية المبكرة أن الزمن قوة كونية منظّمة، لا تفهم إلا من خلال حركة السماء. وهذا الإدراك لم ينقطع، بل استمر متحوّلًا في العقيدة الإيزيدية، حيث ظل الزمن

مرتبطًا بالشمس، بالنار، بالطين، وبالدورة الأزلية للحياة والموت والبعث.

أولًا: الزمن الدائري في مقابل الزمن الخطي تقوم الفلسفة الحديثة على مفهوم الزمن الخطي: بداية، ثم تراكم، ثم نهاية. أما الوعي الإيزيدي – كما الوعي السومري من قبله – فيقوم على الزمن الدائري؛ زمن يعود إلى ذاته، لا ليكرّر نفسه حرفيًا، بل ليُعيد التوازن الكوني. في هذا السياق، لا يُفهم العيد بوصفه ذكرى تاريخية، بل بوصفه عودة الزمن إلى نقطة صفائه الأولى. فشيشم، وخدر إلياس، ورأس السنة، وجلي زفزتاني، ليست مناسبات منفصلة، بل محطات في دورة واحدة، تتقدّم فيها الشمس، ويتحوّل فيها الوجود.

ثانيًا: الشمس بوصفها ساعة الكون تحتل الشمس (شيشم) مكانة تتجاوز الرمز الديني، فهي العقل الزمني للكون. بها يُقاس اليوم، وبها تعرف الفصول، وعندها تحدَّد الصيامات والأعياد. إن الاعتداليين والانقلابين الشمسيين ليسوا ظواهر فلكية فحسب، بل مفاصل زمنية مقدّسة، تعاد عندها صياغة العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

وفي هذا الإطار، يرى الباحث علو خلف شرف أن العقيدة الإيزيدية حافظت على أقدم تقويم شمسي حيّ في الشرق الأدنى، تقويم لا يُكتب في جداول، بل يُمارَس في الطقس، ويُحفظ في الجسد والذاكرة.

ثالثا: الطقس بوصفه تثبيتا للزمن

الطقس في الإيزيدية ليس عادة اجتماعية، بل فعل كوني. إشعال النار، سلق البيض، ربط الخيط الأحمر والأبيض، زيارة الحقول، الصمت قبل الدعاء؛ كلها أفعال تعيد تثبيت الزمن في مساره الصحيح.

فالبيض، على سبيل المثال، ليس رمز الحياة فحسب، بل رمز البداية الزمنية؛ نقطة الانفجار الأولى. والنار ليست أداة دفء، بل لغة الضوء الأولى، التي بها يُستدعى الزمن النقي.

رابعًا: الزمن الطيني — من اللوح إلى القبة

من الطين صُنعت ألواح سومر، وفي الطين حُفظ الزمن. لم تكن الكتابة اختراعًا لغويًا فحسب، بل محاولة لتجميد الزمن. وهذا المفهوم استمر في العمارة الإيزيدية، حيث تتحوّل القباب إلى ساعات سماوية صامتة.

فالقاعدة الأرضية تمثل الثبات، والهيكل المخروطي يمثل صعود الزمن، وأعلى القبة حيث الشمس والكواكب، يمثل لحظة التقاء الزمن بالخلود. إن لالش، وفق هذا الفهم، ليس مكانًا جغرافيًا، بل مركز تدوير الزمن المقدّس.

خامسًا: الانتظار كقيمة زمنية

في عالمٍ يقدّس السرعة، حافظ الإيزيدي على فضيلة الانتظار. انتظار المطر، انتظار الفجر، انتظار العيد. فالانتظار ليس فراغًا، بل امتلاء زمني، تختبر فيه الأخلاق والصبر والانسجام مع الطبيعة.

إن الصمت قبل الطقس، والتأني في الدعاء، والامتناع المؤقت عن الطعام، كلها أشكال من احترام الزمن، بوصفه كائنًا يجب الإصغاء إليه لا استهلاكه.

سادسًا: مقاومة الفناء عبر الزمن

رغم الإبادات، والانقطاعات، ومحاولات المحو، لم تنقطع الذاكرة الإيزيدية، لأنها لم تختزن في الكتب وحدها، بل في الدورة الزمنية ذاتها. ما دام الطقس يُؤدّى، وما دامت الشمس تراقَب، وما دامت النار تشعل في موعدها، فإن الزمن الإيزيدي لا يموت.

وهنا يؤكد الباحث علو خلف شرف أن بقاء الإيزيديين ليس بقاء جماعة فحسب، بل بقاء نظام زمني كامل، يعود بجذوره إلى أقدم رؤى الإنسان عن الكون.

خاتمة: الزمن في العقيدة الإيزيدية ليس عدوًا يُهزم، ولا نهرًا يُستنزف، بل رفيق طريق، يُكرَّم ويُحترَم. إنه الزمن الذي يمشي مع الشمس، ويتكلّم بالنار، ويُكتب بالطين، ويُحفظ في الطقس.

وبذلك، لا يكون الإنسان الإيزيدي ساكنًا في الزمن، بل حامله، وشاهده، ووارث ساعته الكونية منذ فجر الحضارة وحتى اليوم

الفصل الثالث والثلاثون التخمّر

حكمة التدوّل من الطين إلى الحياة

الشعب السومري وطريقة شربهم للبيرة

مقدمة فلسفية: ليس التخمّر مجرّد تعفّنٍ مُراقَب، ولا خطأً كيميائيًا تم ترويضه، بل هو قانون التحوّل الذي اختارته الحياة كي تعبر من السكون إلى الفعل. كل ما في الوجود لا يحيا إلا إذا تخمّر:

القمح لا يصير خبزًا بلا تخمير،

اللبن لا يصير غذاءً بلا تخمير،

العنب لا يصير نبيذًا ولا الخل خلًّا بلا تخمير،

والإنسان ذاته... لا يهضم، ولا يفكّر، ولا يعيش، لولا تخمّرٍ صامتٍ يجري في أمعائه وروحه. التخمّر هو الزمن حين يعمل داخل المادة،

هو الصبر حين يتحوّل إلى حكمة، وهو الدرس الذي تعلّمته الحضارات الأولى قبل أن تعرف المختبرات: اترك المادة تتغيّر... ولا تجبرها. التخمّر في فجر الحضارة الرافدينية في وادي الرافدين، حيث تعلّم الإنسان أن يزرع ويكتب ويحسب الزمن، اكتشف أيضًا أن الطعام لا يُؤكل كما هو، بل يُربّى. السومريون لم يخترعوا التخمّر، بل لاحظوه واحترموه.

الخبز المخمّر: كان الخبز السومري يُحضّر بالعجين المخمّر، لا لسببٍ ذوقي فقط، بل لأنهم أدركوا أن الخبز غير المخمّر يُتعب الجسد. التخمير كان يجعل القمح "حيًّا" مرة أخرى بعد موته.

البيرا (الجعة السومرية): لم تكن شراب لهو، بل غذاءً سائلًا، تشرب في الطقوس، وتقدَّم للآلهة، وتعطى للعمّال. البيرا هي مثال واضح على أن التخمّر كان فعلًا مقدّسًا. الخلّ: من النبيذ المتحوّل إلى خلّ، تعلّم الإنسان أن الفساد ليس نهاية، بل مرحلة أخرى من النفع. التخمّر في الثقافة الإيزيدية: الاستمرارية الصامتة عند الإيزيديين، لم يُكتب التخمّر كنظرية، بل عاش في الممارسة:

اللبن والجبن: ليسا طعامًا فقط، بل جزء من نظام موسمي وغذائي متوازن، يُناسب الجسد في الحر والبرد. التخمير هنا يحفظ الغذاء، ويُصلحه، ويُخفّف ثقله على الجسد.

الخبز التنّوري: العجين المخمّر، النار، الطين ثلاثية قديمة تعيد إنتاج معنى الخلق في كل رغيف.

الزمن والصبر: التخمّر يحتاج وقتا، والإيزيدي لا يستعجل ما له علاقة بالبركة. كل ما يُترك ليأخذ وقته، يكون "مباركًا".

التخمّر والأرض: حين تتخمّر التربة لتثمر حتى الأرض لا تزرع وهي "نيئة". يُترك فيها السماد، وبقايا الكائنات، لتتخمّر في التربة، فتتحوّل إلى غذاء للنبات. الأرض نفسها تخضع لقانون التخمّر قبل أن تنبت. وهنا تتجلّى حكمة قديمة: لا عطاء بلا تحلّل، ولا حياة بلا تحوّل.

التخمّر داخل الإنسان: المعبد الخفي أمعاء الإنسان هي معمله الأول.

البكتيريا النافعة تقوم بالتخمير:

تفكّك الطعام

تنتج الفيتامينات

تقوّي المناعة

وتؤثر حتى على المزاج والعقل، لولا هذا التخمّر الداخلي، لما حصل الهضم، ولا الامتصاص، ولا التوازن. الإنسان ذاته كائن متخمّر.

الحكمة الكونية للتخمّر

التخمّر يعلّمنا أن: الفساد ليس شرًا مطلقًا، التحلّل مرحلة ضرورية، الزمن شريك في الخلق

الحياة لا تسير بخط مستقيم، بل بدورات وهي نفس الفلسفة التي نجدها في: الفصول الأربعة، الموت والولادة، النار والطين، الشمس والظل

الشعب السومري وطريقة شربهم للبيرة

خاتمة: من سومر إلى لالش، من الخبز إلى الروح ومن التربة إلى الأمعاء.

يبقى التخمّر لغة الحياة العميقة التي لم تتغيّر، بل تغيّرت أسماؤها فقط. وما تسميه المختبرات اليوم بكتيريا نافعة، كانت الحضارات القديمة تسميه: بركة... وحكمة... ونفَس الزمن داخل المادة

الفصل الرابع والثلاثون: اللعب المقدّس

من كووركَ الإيزيدية إلى ألواح أور السومرية

رجال ايزيديين كبار يلعبون لعبة الشطرنج

حين كان اللعب لغة للزمن والكون، لم يكن اللعب عند الإنسان القديم ترفًا ولا تسلية عابرة، بل كان فعلًا معرفيًا مقدّسًا، تختصر فيه قوانين الكون، ويُدرَّب العقل على الصبر، الحساب، التوقيت، وانتظار الدور. وما بقي في الذاكرة الشعبية الإيزيدية من ألعاب الحصى، الحفر، الألواح، والمربعات، ليس بقايا طفولة، بل بقايا حضارة. إنّ هذه الألعاب، التي مارسها الأطفال والشباب والكهول

والنساء والرعاة، تمثل أرشيفًا حيًا لذاكرة وادي الرافدين، انتقل شفهيًا عبر آلاف السنين، حين ضاعت النصوص وبقي الفعل.

أولًا: كوورك – لعبة الحفر والزمن الدائري تعد كوورك من أقدم وأعمق الألعاب الشعبية الإيزيدية. وصف اللعبة لوح خشبي مستطيل

١٤ حفرة صغيرة محفورة على سطحه

٧٠ حصوة أو حجرة صغيرة

يلعبها شخصان

يتم توزيع الحصى والتنقل بينها وفق نظام محدد القراءة الرمزية

١٤ حفرة = نصف الدورة القمرية

٧٠ حصوة = رقم كوني (٧ × ١٠)، رقم الزمن والاكتمال حركة الحصى من حفرة إلى أخرى = انتقال الزمن بين المواقيت هذه اللعبة ليست مجرد ذكاء، بل تقويم كوني مبسّط، يشبه تمامًا: ألواح الألعاب المكتشفة في سومر وأور ونيبور ألعاب الحفر المعروفة آثاريًا باسم ألعاب الانتقال والدورة، (كوورك) تمثل فهمًا قديمًا للزمن بوصفه دائرة لا خطًا.

ثانيًا: ألعاب الحصى القليلة – الحساب، القرار، والقدر

١. النهبرك (٩ حصوات) تلعب بتسع حصوات تعتمد على الترتيب، الخداع الذهني، والتنبؤ بحركة الخصم الرقم ٩ رقم مقدّس: اكتمال ثلاث دورات، نهاية وبداية جديدة

٢. سيّبەرك (٣ حصوات) تلعب بين شخصين تعتمد على سرعة القرار

الرقم ٣: السماء – الأرض – العالم السفلي أو: الفكر – الفعل – النتيجة، هذه الألعاب تشبه تمامًا ما عُثر عليه في الرسومات السومرية لأطفال وكهنة يلعبون بالحجارة، وتؤكد أن التعليم كان يُمرَّر عبر اللعب.

ثالثا: الألواح والصراع الرمزي – من الداما إلى الشطرنج الداما والشطرنج كانا يمارسهما كبار السن ليست ألعاب صراع دموي، بل: تدريب على التخطيط: ضبط النفس، قراءة الخصم، وهي امتداد لفكرة: الحرب دون دم والنظام في مواجهة الفوض، وهنا نصل إلى لعبة أور الملكية السومرية: موثقة آثاريًا

تعتمد على: المربعات، النرد، الانتظار

وهي ليست لعبة حظ فقط، بل محاكاة لمسار الروح والمصير

رابعًا: ألعاب النساء والأطفال – حفظ التوازن المجتمعي الكابة والقارچك (تلعبها النساء): ألعاب ذاكرة، تنسيق، وترابط الغميضة (للأطفال): لعبة الاختفاء والظهور رمز الموت والبعث ألعاب الرعاة والشباب مثل الهولي: تمارس في الطبيعة مرتبطة بالجسد والحركة هذا التوزيع ليس عشوائيًا، بل نظام اجتماعي متكامل: لكل فئة عمرية لعبها ولكل لعب وظيفته النفسية والرمزية

خامسًا: هل اخترع السومريون هذه الألعاب أم الإيزيديون؟ السؤال الأدق ليس "من اخترع؟" بل: من حفظ؟

السومريون: أسّسوا الرمز وربطوا اللعب بالزمن والفلك

الإيزيديون: ورثوا حافظوا وواصلوا الممارسة حتى العصر الحديث ما ضاع في المدن، بقي حيًا في القرى والجبال.

خلاصة الفصل:

لم يكن اللعب في الذاكرة الإيزيدية لهوًا، بل طريقة لتعليم الزمن دون كتابة، ولحفظ الفلك دون مرصد، ولنقل الحكمة دون مدرسة.

من كوورك إلى أور الملكية، ومن حفرة وحصاة، إلى لوح ومربع، كان الإنسان الرافديني يلعب... لكي يفهم الكون

الفصل الخامس والثلاثون: (چلەگر، çilegir)

السبعة:

مدرسة الحكمة في الكهوف وذاكرة الطقس الإيزيدي بين الرافدين القديم والحاضر

مجموعة رجال الدين وهم يؤدون الطقوص الدينية ونقل العلم و المعرفة فيما بينهم في معبد لالش

على طول سلاسل جبال شمال بلاد الرافدين، لم تكن الكهوف مجرد فراغات صخرية، بل مراكز حيّة للحكمة والطقس الروحي. هنا، عاش الرجال السبعة المعروفون، (چلەگر) حُماة النظام الكوني، حاملين على عاتقهم مسؤولية حفظ التوازن بين الإنسان والطبيعة، بين الزمن والروح. صيامهم، خلواتهم، وتعلمهم ليس مجرد طقس، بل مدرسة روحية متكاملة تظهر استمرارية الوعي الإنساني منذ سومر، مرورًا بأكاد وبابل، وصولًا إلى الإيزيدية المعاصرة.

الكهوف والسبع حجرات: هندسة كونية، كل كهف كان شبكة معقدة من الحجرات: ثلاث حجرات في جهة، وثلاث في الجهة المقابلة، حجرة واحدة مركزية ترمز إلى كبيرهم، محور ضبط التوازن الروحي والمعرفي. العدد سبعة ليس عشوائيًا: سبعة رجال = سبعة ملائكة، وسبع حجرات = نظام كوني متكامل. الكهف ليس مجرد مكان عزلة، بل رحم التجربة الروحية والتعلم، حيث يلتقي الضوء بالظلام، والماء بالجسد، والإنسان بالكون. الصيام الأربعيني: الشتاء والصيف چلەگر صاموا أربعين يومًا في الشتاء وأربعين في الصيف.

أربعون الشتاء: يرمز إلى حراسة النور وسط أقصر الأيام وأضعف الشمس.

أربعون الصيف: يرمز إلى ضبط الفائض ومنع الغرور الكوني. الصيام ليس نكرانًا للجسد، بل أداة لتنقية الجسد والعقل واستقبال الحكمة، وهو شرط لاكتساب المعرفة في المدرسة الجبلية. التعليم في الخلوة: مدرسة صامتة للمعرفة، داخل الكهف، تلقى چلەگر: الدعاء، التراث، الترنيم، الطقوس، والحكمة العملية، عن طريق التبادل بين السبعة، حيث كل واحد حامل نور، لا فرد منفصل. وهكذا يصبح الكهف نموذجًا للمدرسة الروحية الأقدم، حيث المعرفة لا تحتكر، بل تحفظ وتنتقل شفهيًا كما يحدث اليوم عبر القوالين الإيزيديين. المذبح والثور: تجديد العهد في نهاية الأربعين يومًا: يُقدَّم ثور قربانًا من

القرويين، يُذبح على مذبح الكهف، ويجري دمه في المياه الجارية، لتخصيب الأرض والفضاء، فيحتفل الجميع بالعيد وعودة الرجال السبعة بالخير والمعرفة.

الذبيحة هنا ليست عنفًا، بل إعادة التوازن للطبيعة والكون، وهي استمرار رمزي لطقوس الخصب التي مارسها البابليون منذ آلاف السنين. چلەگر والرافدين القديم: جذور الطقس وفلسفته الجانب الأعمق يكمن في الاستمرارية التاريخية والرمزية.

السومريون: الكهنة كانوا يقيمون خلوات تعليمية وحفظية لتلقي الأسرار الإلهية، خاصة المتعلقة بالماء والجفاف، كما في طقس الاستسقاء.

الأكديون: صيام وخلوة لتلقي الترانيم والطقوس، تحضير العقل والجسد لاستيعاب المعرفة.

البابليون: قربان جماعي، جريان الدم مع المياه، ربط الطقس بالانقلابات الشمسية والفصول، وهو ما نراه عند ا چلەگر في الأربعين الشتوي والصيفي والذبيحة الطقسية.

وهنا يظهر بوضوح أن چلەگر يمثلون استمرارًا روحيًا للأصالة الميزوبوتامية، مع تطور فلسفي وروحي جديد، يجعل الطقس مفتوحًا على الجماعة والأخلاق، لا حكرًا على الكهنة وحدهم.

العودة إلى العالم: نقل الخير والمعرفة بعد انتهاء الأربعين يومًا، يعود

چلەگر إلى القرى حاملين: بركة الطقس وروح الصيام، المعرفة المكتسبة، لينقلوها للشعب، مؤكدين أن التجربة الروحية لا تتحقق في الانعزال وحده، بل في مشاركة الخير والحكمة مع الآخرين.

وهذا هو الجسر بين الماضي والوقت الحاضر: الطقس الإيزيدي اليوم لا اختراع له، بل استمرار رمزي چلەگر السبعة.

خاتمة فلسفية السبعة ليسوا مجرد رجال صيام وخلوة، بل حُماة ذاكرة كونية: يعلمون أن كل طقس، كل صلاة، وكل ترنيمة هي صدى لوعي إنساني قديم، أن المعرفة تستحق بصيام الجسد وطمأنينة الروح، وأن المشاركة الجماعية هي ضمان استمرارية هذا الوعي عبر الزمن.

وبهذا، يصبح فصل چلەگر السبعة من أعمدة الكتاب، يربط بين: حضارة الرافدين القديمة، الحكمة الكونية، والطقوس الإيزيدية الحية اليوم، مقدّمًا درسًا فلسفيًا وروحيًا عميقًا عن استمرارية الروح الإنسانية عبر الزمان والمكان.

الفصل السادس والثلاثون: طقس الاستسقاء

من سومر إلى بابل فالإيزيدية

المطر بوصفه عهدًا أخلاقيًا بين الإنسان والكون لم يكن المطر في وعي إنسان وادي الرافدين ظاهرةً طبيعيةً محايدة، بل رسالةً كونية، وعلامة رضا أو إنذار، واستجابةً أخلاقية لسلوك الإنسان على الأرض. ومن هنا وُلد طقس الاستسقاء لا كفعل استعطاف بسيط، بل كـ لغة حوار بين الإنسان والسماء، استمرت رمزيته من سومر، مرورًا ببابل، وصولًا إلى العقيدة الإيزيدية بصيغتها الروحية المتفردة.

الاستسقاء في سومر: الماء بوصفه أصل الوجود

في سومر، حيث تشكّل الوعي الزراعي الأول، ارتبط المطر ارتباطًا عضويًا بفكرة الخلق ذاتها. فالإله إنكي (إيا)، سيد المياه العذبة والأبسو، لم يكن مجرد مانح ماء، بل حافظ النظام الكوني. الجفاف لم يُفهم كصدفة مناخية، بل كاختلال في العلاقة بين الإنسان والنظام الإلهي. ومن هنا كان الاستسقاء فعل استعادة التوازن لا طلب النجاة فقط. كانت الأدعية السومرية تتسم بالهدوء والاعتراف، لا بالأمر أو التحدي. فالمطر لا يُستدرّ بالقوة، بل يُستعاد حين يعود الإنسان إلى حدوده داخل الكون. وهذا المفهوم يُعد من أعمق ما قدّمته الفلسفة الدينية السومرية: الطبيعة لا تقهر، بل تصالح.

الاستسقاء في بابل: من الرمز إلى الشعيرة المنظمة مع بابل، انتقل طقس الاستسقاء من طابعه البسيط إلى نسق شعائري أكثر تنظيمًا. الصيام، التضرع الجماعي، الخروج إلى الفضاء المفتوح، وتلاوة الأدعية المرتبطة بالآلهة السماوية، كلّها عناصر تعكس وعيًا متقدمًا بدور الجماعة في إعادة التوازن.

غير أن الجوهر بقي ثابتا: المطر ليس استجابة لحاجة جسدية فقط، بل نتيجة أخلاقية. فحين يفسد العدل، تحبس السماء ماءها، وحين تصلح الجماعة سلوكها، تنفتح الأبواب. وهنا نلاحظ أن الفكر البابلي لم يفصل بين الطقس الديني والنظام الاجتماعي؛ فالاستسقاء فعل جماعي يعيد ترتيب العلاقة بين الإنسان، الأرض، والسماء في آن واحد. الاستسقاء في الإيزيدية: الرجاء لا الاستدعاء في العقيدة الإيزيدية، يصل طقس الاستسقاء إلى ذروة نضجه الروحي. فهو لا يُمارس بوصفه أمرًا للسماء، بل رجاءً صامتا نابعًا من الطهارة والنقاء. لا ضجيج، ولا تهديد، ولا طقوس قهر للطبيعة، بل وقفة تواضع أمام إرادة الخالق. غالبًا ما يُشارك الأطفال في هذا الطقس، لا لضعفهم، بل لنقائهم الأول، في إشارة عميقة إلى أن المطر يُستجاب حيث تكون الأرواح أنقى. كما يرتبط الاستسقاء بالصيام، والنظافة الجسدية، وضبط السلوك، وكأن الجسد ذاته يصبح قربانًا أخلاقيًا.

في هذا السياق، لا يُفهم الجفاف كعقاب، بل كرسالة تأمل: ماذا اختل في علاقتنا مع الكون؟

الخيط المشترك: المطر كعهد من سومر إلى بابل إلى الإيزيدية، يتكرر المعنى ذاته بصيغ مختلفة: المطر عهد، لا منحة عشوائية.

عهد بين الإنسان والأرض، بين السلوك والنتيجة، بين الأخلاق ودورة الطبيعة.

فالاستسقاء ليس طقس خوف من الموت، بل طقس حياة، يعيد الإنسان إلى موقعه الحقيقي: كائن مسؤول، لا سيد متسلط. وهنا تتجلى استمرارية الذاكرة الميزوبوتامية في العقيدة الإيزيدية، لا بوصفها تقليدًا جامدًا، بل وراثة فلسفية حية.

إن طقس الاستسقاء يكشف عن عمق وعي إنسان هذه الأرض، الذي أدرك مبكرًا أن الماء لا يُطلب بالأيدي وحدها، بل بالضمير. وأن السماء لا تخاطب بالصراخ، بل بالصمت النقي.

وهكذا، يبقى المطر في الذاكرة الإيزيدية – كما كان في سومر وبابل لغة أخلاقية، تقول للإنسان: حين تصلح نفسك، تمطر السماء.

الفصل السابع والثلاثون: الأبيض والحكمة الإيزيدية بين النور والجسد

في الثقافة الإيزيدية، اللون الأبيض ليس مجرد لون للملابس أو زينة للعيون، بل لغة صامتة تحمل رسائل عدة في آن واحد. فهو لون النور والطهارة، لكنه أيضًا لون الجسد المحمي والمثمر في عالم الشمس والعمل.

لم يكن اختيار الأبيض عبثيًا أو تقليدًا فارغًا، بل نتيجة خبرة طويلة مع الشمس والأرض والعمل اليومي. في مواسم الحر والحصاد والرعي، حين يكون الإنسان مكشوفًا لسطوع الشمس وحرارتها، يظهر الأبيض كحاجز طبيعي يخفف تأثير الشمس على الجسد، ويمنع الاحتراق والإرهاق. فالأبيض يعكس أشعة الشمس ولا يمتصها، بخلاف الألوان الداكنة، فكان لباس الإنسان الإيزيدي وسيلة لحماية جسده كما يحمي روحه.

وهكذا، يلتقي في الأبيض الرمز الروحي بالحكمة العملية:

هو لون النور والطهارة والروح النقية.

رجلان ايزيديان بالزي القديم

هو لون البقاء والحماية من حرارة الشمس أثناء العمل.

الإيزيدي، وهو ابن الشمس في عقيدته، لم يتحد الشمس ولا تغاضى عنها، بل عرف كيف يتوازن معها، كيف يستفيد من نورها ولا يتحمل ضررها. الأبيض هنا توازن حي بين الروح والجسد، بين المقدس والملموس، بين العمل والتأمل.

كما يظهر الأبيض الذكاء الحضاري للإيزيديين: فهم قبل العلم الحديث قوانين الانعكاس الحراري والوظيفة الواقية للملابس الفاتحة، وتعلموا أن قداسة الإنسان لا تكتمل إلا بالاعتناء بجسده كما تصان روحه.

في النهاية، يظل الأبيض عند الإيزيدي رسالة مزدوجة:

رسالة إلى الروح: كن نقيًا.

رسالة إلى الجسد: احمِ نفسك لتكمل عملك وتستمر في الحياة.

الأبيض ليس مجرد لون، بل تجربة حياة، فلسفة حضور، وحكمة موروثة، تجمع بين الرمزية الدينية والعلمية والبيئية، فتجعل من لباس الإنسان الإيزيدي اختيارًا مقدسًا وواقعيًا في الوقت نفسه.

الفصل الثامن والثلاثون: الزمن الذي يبدّل ثوبه

قراءة كونية في كراس گۆهەرین بين الطبيعة والإنسان

الزمن دائري لكل شيء والإنسان ليس استثناء

هناك أفكار لا تولد من الكتب، بل من التأمل. ومن يتأمل الفصول جيداً، لا يحتاج إلى برهان طويل على أن الوجود لا يسير في خط مستقيم، بل في دائرة عميقة متكررة. حين ننظر إلى السنة، نراها ككائن حي كامل:

في الربيع تحمل الحياة في أحشائها.

في الصيف تبلغ قوتها واكتمالها.

في الخريف تنضج وتبدأ بالتخلي.

في الشتاء تسكن، كأنها أغمضت عينيها لتستريح.

ثم تعود من جديد. السنة لا تموت، بل تغيّر ثوبها. الزمن نفسه يمارس كراس گوّهەرين. الشجرة التي تشرح العقيدة بصمت الشجرة في الشتاء عارية، بلا أوراق، كأنها فقدت كل شيء. لكنها لم تمت. جذورها حيّة، عصارتها صامتة، روحها كامنة.

في الربيع ترتدي ثوباً أخضر.

في الصيف تكتمل زينتها.

في الخريف تلبس ثوب الذهب.

ثم تنزع ثيابها وتعود إلى سكونها الشتوي. هل هذه تناسخات متعددة؟ أم هو كائن واحد يغيّر هيئته دون أن يفقد جوهره؟

هنا يتجلى مفهوم كراس گوّهەرين بوصفه قانوناً كونياً، لا مجرد اعتقاد ديني.

إنه ليس انتقالاً عشوائياً، بل تبديل حالة داخل نظام منسجم.

إذا كان الكون دائرياً... فهل الإنسان استثناء؟ هذا هو السؤال الذي يطرق باب الحقيقة. كل ما حولنا يعيش زمنا دائرياً: الشمس تشرق وتغيب لتعود. القمر يولد هلالاً ثم يكتمل ثم يتلاشى ليبدأ من

جديد. الحبة تدفن في الطين فتتحلل، ثم تنبعث سنبلة. الماء يتبخر، ثم يعود مطراً. فهل الإنسان، وهو جزء من هذا الكون، يسير في خط مستقيم منفصل عن قانون الطبيعة؟ إذا كان الوجود كله يعمل بمنطق الدورة، فكيف يكون الإنسان حالة شاذة؟ إن اعتبار الإنسان استثناءً يقطع صلته بالكون. أما اعتباره جزءاً من النسيج الكوني، فيعني أنه يخضع لنفس القانون: قانون التحول، لا الفناء.

الشتاء ليس موتاً... بل رحم في الفهم الدائري للزمن، الموت ليس نهاية مطلقة. إنه شبيه بالشتاء: سكون يخفي بداخله استعداداً لدورة جديدة. وكما أن الطبيعة لا تعلن نهاية وجودها في الشتاء، فإن كراس گۆهەرین لا يعني انقطاع الروح، بل انتقالها من حالة إلى حالة. ليست القضية انتقال جسد إلى جسد بمعناه السطحي، بل استمرار الجوهر عبر تبدل الأثواب. الفارق بين التناسخ والفلسفة الدائرية كثيرون يختزلون الفكرة في كلمة "تناسخ"، لكن الرؤية الأعمق ترى أن المسألة ليست هروباً من الموت، ولا عقيدة عاطفية، بل قراءة لواقع كوني نشاهده كل يوم. الطفولة ثوب. الشباب ثوب. الشيخوخة ثوب. حتى في حياتنا الواحدة نحن نبدّل أثوابنا الوجودية دون أن نفقد هويتنا. فلماذا يبدو تبديل الثوب بعد الموت أمراً مستحيلاً، بينما نقبله في كل لحظة من حياتنا؟

كراس گۆهەرين كقانون انسجام عندما ننظر إلى المسألة من زاوية الطبيعة، نكتشف أن كراس گۆهەرين ليس خروجاً عن العقل، بل انسجاماً معه. إنه يعيد الإنسان إلى موقعه الطبيعي: جزء من دورة كبرى، لا سيداً منفصلاً عنها، ولا كائناً يسير في خط ينتهي بالعدم.

خاتمة السؤال المفتوح إذا كانت السنة تغيّر ثوبها، والشجرة تغيّر ثوبها، والأرض تغيّر ثوبها، والشمس تغيّر موقعها، والحبة تموت لتعود حياة، فهل الإنسان استثناء؟ أم أنه – مثل كل شيء – ينزع ثوبه ليرتدي آخر في دورة أوسع مما ندرك؟ هذا السؤال ليس إثباتاً ولا نفياً، بل بابٌ يُفتح على فهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والكون.

إنه سؤال مشروع... لأنه يضع الإنسان داخل النسيج الكوني، لا خارجه. برؤية وتحليلي.

الفصل التاسع والثلاثون السيادة على الزمن

الإيزيديون بين الحكم السياسي والحكم الكوني

من السهل أن نسأل: هل حكم الإيزيديون أنفسهم يومًا؟ لكن الأصعب أن نسأل: ما معنى الحكم أصلًا؟ هل الحكم هو السيف؟ أم هو القدرة على تنظيم الزمن؟ في التاريخ المعروف، لا نجد إمبراطورية توسعية حملت اسم الإيزيديين. لا نقرأ عن جيوش عابرة للقارات، ولا عن عروش تبتلع المدن. لكننا نجد شيئًا أعمق: نجد شعبًا لم يفقد نظامه رغم سقوط الدول من حوله. وهنا يبدأ السؤال الحقيقي.

أولاً: عندما كان الحكم تقويمًا في مدن مثل لكش وأور، لم يكن الملك مجرد قائد عسكري، بل كان مرتبطًا بالسماء. وكان الحاكم الذي تجلّى في شخصية كوديا لا يتحرك قبل أن يرى حلمًا، ولا يبني معبدًا قبل أن يقيس النجوم. كان الحكم آنذاك: تنظيمًا للزمن وتحديدًا للمواقيت وضبطًا للعلاقة بين الأرض والسماء لم يكن الملك يملك الأرض، بل كان ينسق بينها وبين النظام الكوني. وهنا تلتقي الفكرة. ثانيًا: الإيزيدي... الحاكم دون عرش إذا نظرنا إلى المجتمع الإيزيدي، نجد نظامًا متكاملًا: تقويم مستقل طبقات دينية منظمة مركز روحي في لالش طقوس موسمية مضبوطة بدقة طواف دوري يشبه الحركة المدارية إنه نظام لم يولد في فراغ، ولم يكن تابعًا لسلطة خارجية في جوهره. حتى في الفترات التي وُجدت فيها إمارة

الشيخان، لم تكن الإمارة توسعية، بل كانت حارسة لنظام داخلي. كان الأمير يحكم الجغرافيا المحدودة، لكن المرجعية العليا كانت للطقس، للتقويم، للسر الكوني. وهنا تكمن الفكرة الفلسفية: الإيزيديون لم يسعوا إلى حكم الآخرين، بل إلى حفظ النظام.

ثالثا: الفرق بين الإمبراطورية والسيادة الإمبراطورية توسّع. السيادة تحفظ. الإمبراطورية تبني حدودًا. السيادة تبني مركزًا. الإيزيديون عبر تاريخهم لم يُعرفوا كشعب غزو، بل كشعب طقس. لم يتركوا وراءهم قلاعًا ضخمة، بل تركوا نظامًا زمنيًا دقيقًا لا يزال يعمل حتى اليوم. وهذا في حد ذاته شكل من أشكال الحكم.

رابعًا: السيادة على الزمن حين يحدد شعبٌ:

متى يصوم

متى يحتفل

متى يشعل النار

متى يبدأ العام

وكيف تقاس الفصول فهو في الحقيقة يحكم الزمن. ومن يحكم الزمن، يحكم الإنسان. الإمبراطوريات سقطت: الأكدية، البابلية، الآشورية، الفارسية، العثمانية... لكن التقويم الإيزيدي بقي. والطواف بقي. والنار بقيت. أي قوة هذه التي تصمد أمام انهيار الجيوش؟

خامسًا: حكم بلا دولةربما لم يؤسس الإيزيديون دولة قومية حديثة.لكنهم أسسوا ما هو أندر: "دولة طقسية داخل الزمن". نظامهم الاجتماعي لم يكن عشوائيًا. طبقاتهم الدينية لم تكن فوضوية. مواقيتهم لم تكن اعتباطية. إنه بناء إداري روحي حافظ على نفسه قرونًا دون جيش نظامي. وهذا ليس ضعفًا... بل اختيارًا حضاريًا.

سادسًا: الحاكم الحقيقي في الذاكرة الرافدينية، كان الحاكم يقيس المعابد وفق السماء. وفي الذاكرة الإيزيدية، تقاس الحياة وفق الشمس. إذا كان الملك السومري قد بنى وفق حلم سماوي، فالإيزيدي يعيش حلمًا سماويًا مستمرًا. وهنا أجرؤ على القول:

إن الإيزيديين ربما لم يكونوا ملوك أرض، لكنهم كانوا ورثة نظام ملكي كوني. حكمهم لم يكن فوق الناس، بل داخل الضمير الجمعي.

خاتمة الفصل

ليس كل شعب يحتاج إلى إمبراطورية كي يُثبت وجوده. بعض الشعوب تثبت نفسها عبر السيف، وأخرى عبر الزمن. الإيزيديون لم يكتبوا تاريخهم بالفتوحات، بل بالاستمرار. وحين نسأل: هل حكموا أنفسهم؟ فالجواب ليس في القلاع، بل في قدرتهم على البقاء بنظامهم الخاص رغم كل محاولات الإلغاء. وهذا... أعمق أشكال السيادة.

الفصل الأربعون دائرة النبض

الرقص الجماعي كطبٍّ للنفس وفلسفةٍ للبقاء

حين نقرأ الإنسان عبر مراحله العمرية، نرى مسارًا واضحًا: الطفل قريب من النور، سريع الفرح، خفيف الاستجابة. ثم يكبر، فتثقل ذاكرته، وتتراكم داخله طبقات التجربة، ويصبح مزاجه أكثر عرضة للتقلب، وجسده أكثر حساسية للتوتر. هنا يظهر السر الذي فهمه الأسلاف مبكرًا. في الحضارة السومرية، لم تكن الموسيقى والرقص طقسًا احتفاليًا فقط، بل وسيلة لإعادة التوازن بين الإنسان والكون. الإيقاع كان يُمارَس داخل المعبد وخارجه، لأن الجسد — في وعيهم — ليس منفصلًا عن الروح، والروح ليست منفصلة عن

الجماعة.وعند الإيزيديين، يستمر هذا الفهم في الرقص الدائري، في الطبل والمزمار، في حلقات الفرح الجماعي في الأعياد والجما والنذور. الدائرة هنا ليست شكلًا عابرًا؛ إنها رمز فلسفي عميق:رلا أحد في المقدمة ولا أحد في الخلف. الجميع يتحركون وفق نبض واحد. الأنفاس تتقارب، والخطوات تتناغم، والقلوب تتزامن. علميًا، حين يتحرك الناس معًا بإيقاع موحّد، يحدث تزامن عصبي وجسدي: ينخفض التوتر، يتراجع إفراز هرمونات القلق، وتفرز مواد كيميائية تعزز الشعور بالطمأنينة والانتماء. لكن قبل العلم، كان الأسلاف قد لاحظوا النتيجة ببساطة: الإنسان بعد الرقص الجماعي يصبح أهدأ، ألين، وأكثر قابلية للحياة. الرقص الجماعي ليس هروبًا من الهموم، بل إعادة ترتيبٍ لها داخل النفس. إنه تفريغ منظم للطاقة المكبوتة. الطبل يحرّك الجسد، والحركة تذيب التصلّب الداخلي، والدائرة تعيد الفرد إلى حضن الجماعة. ومن الناحية الفلسفية، يحمل الرقص الجماعي رسالةً عميقة: أن الإنسان ليس وحدةً معزولة، بل كائنٌ لا يكتمل إلا بالآخرين. الحزن الفردي يتضخم في العزلة، لكنه يذوب حين يُحتوى داخل جماعةٍ تتحرك بإيقاعٍ واحد. ولهذا كلما تقدم الإنسان في العمر، وازدادت تجاربه وثقلت ذاكرته، ازدادت حاجته إلى هذه العودة الدورية إلى الدائرة. الدائرة هنا ليست مجرد حركة أقدام، بل عودة رمزية إلى الطفولة الأولى: حيث الثقة،

حيث البساطة، حيث الشعور بالأمان. في هذا المعنى، يصبح الرقص الجماعي عند السومريين قديمًا، وعند الإيزيديين استمرارًا، نوعًا من الطبّ الوقائي الحضاري. ليس لأنه يشفي مرضًا محددًا، بل لأنه يحافظ على المزاج متوازنًا، والنفس مرنة، والجسد متحررًا من الاحتقان. إن المجتمع الذي يعرف كيف يفرح معًا، يمنح أفراده مناعة نفسية. والمناعة النفسية ليست رفاهية، إنها شرط الاستمرار.

وهكذا، حين يدور الناس في حلقة، فهم لا يرقصون فقط، بل يعلنون فلسفة حياة:

أن الزمن قد يثقلنا، لكننا نستطيع – بالإيقاع المشترك – أن نخفف عنه، ونحفظ داخلنا ذلك الطفل الذي ما زال يعرف كيف يبتسم.

وهنا نصل إلى الجزء الثاني من الفصل لنقول بأن الدائرة كبنية فكر: قراءة رمزية ولغوية في الاستمرارية من سومر إلى المجتمع الإيزيدي

أولاً: من التقنية إلى الفلسفة — العجلة كنقطة تحوّل معرفي ظهور العجلة في الألف الرابع قبل الميلا د في جنوب بلاد الرافدين لم يكن مجرد تطور تقني، بل انتقالاً معرفياً من التفكير الساكن إلى التفكير الحركي.

العجلة تمثل ثلاثة عناصر بنيوية: الدائرة (الإطار) — الحركة المستمرة المحور (الثابت غير المرئي) — المركز الدوران (الفعل) —

العلاقة بين الثابت والمتحرك هذه الثلاثية ليست ميكانيكية فقط، بل يمكن قراءتها بوصفها نموذجاً كوسمولوجياً: السماء = دائرة القطب السماوي = محور حركة النجوم = دوران العجلة هي أول تجسيد أرضي لهذا النموذج السماوي.

ثانياً: التحليل الرمزي للدائرة في البنية الزراعية

في المجتمعات الرافدينية، الزراعة ليست نشاطاً اقتصادياً فحسب، بل نظاماً كونياً. الحبة تموت لتولد.

الفصل ينتهي ليعود. السنة دائرة مغلقة.

بيْژنگ — أداة غربلة الحبوب الدائرية — تحمل دلالتين رمزيتين:

الفصل بين الجوهر والزائد الحركة الدائرية كآلية تنقية هذا ينسجم مع مفهوم "التصفية الكونية" في الأساطير الرافدينية، حيث يُعاد ترتيب العالم بعد الفوضى. عندما يوضع المولود الإيزيدي على پيزنك لمدة أربعين يوماً، فنحن أمام إعادة إدخاله في دورة الكون الزراعية — دورة الحياة والموت والتجدد.

ثالثاً: الأربعون يوماً كبنية زمنية انتقالية الرقم أربعون في الدراسات الأنثروبولوجية يمثل مرحلة انتقال (Liminal Phase). إنها فترة عبور من حالة إلى أخرى. وضع الطفل داخل

دائرة لمدة أربعين يوماً يرمز إلى: تثبيت الهوية حماية الروح إدخال الكائن الجديد في النظام الجماعي الدائرة هنا تؤدي وظيفة حدّية: هي مساحة بين الداخل والخارج، بين الهشاشة والحماية.

رابعاً: البنية اللغوية لمفهوم الدوران حتى في اللغات القديمة في وادي الرافدين، ترتبط مفاهيم الزمن والحركة بأفعال تدل على العودة والتكرار، لا على الامتداد الخطي. وفي الثقافة الإيزيدية، ما زال مفهوم "الرجوع" حاضراً في الطقوس والمواسم:

الانقلاب الشتوي = ولادة جديدة

الاعتدال الربيعي = توازن

الانقلاب الصيفي = ذروة

الاعتدال الخريفي = بداية أفول

هذا تقسيم دائري لا خطي.

خامساً: المقارنة البنيوية بين العجلة وا (بێژنگ) العنصر العجلة السومرية بێژنگ الولادة الإيزيدية الشكل دائرة خشبية:

دائرة خشبية الوظيفة نقل وتحريك الحياة، حماية وتثبيت الحياة المحور ثابت يحمل الحركة، مركز يحمي الروح السياق

حضاري تقني

طقسي رمزي

المعنى العميق

تسريع الزمن

تثبيت الزمن

العجلة تحرّك الجسد عبر المكان. بيْزنگ تثبّت الروح داخل الجماعة. كلاهما يوظف الدائرة بوصفها أداة تنظيم للوجود.

سادساً: الدائرة كمنظومة فكر لا كرمز منفصل إذا جمعنا العناصر التالية: اختراع العجلة في سومر التقويم الشمسي الدائري تخطيط المدن المسوّرة طقوس رسم الدائرة للحماية حلقات الرقص الجماعي بيْزنگ الولادة والحبل الدائري فنحن لا نتحدث عن بقايا عادات، بل عن استمرارية بنيوية في التفكير. الخط المستقيم يعبر عن أيديولوجيا التقدم. أما الدائرة فتعبر عن أيديولوجيا التوازن. والثقافة الإيزيدية، كما يتضح من طقوسها، تنتمي إلى النموذج الثاني.

سابعاً: استنتاج نظري يمكن صياغة الفرضية التالية: إن الدائرة تمثل في حضارة سومر نموذجاً كوسمولوجياً تجسد تقنياً في العجلة، واستمر رمزياً في الممارسات الطقسية الإيزيدية، بما يشير إلى بقاء بنية فكر دائرية ممتدة في الذاكرة الثقافية لبلاد الرافدين. وهذا لا يعني تطابقاً تاريخياً مباشراً، بل يشير إلى استمرار نمط إدراكي مشترك. من رحم الدائرة إلى شمس الوداع: اكتمال المدار في الطقس الإيزيدي

إذا تأملنا مسار الإنسان في الذاكرة الإيزيدية، سنجد أنه لا يبدأ حياته بخط مستقيم، بل بدائرة. يولد داخل رحمٍ دائري، فضاء مغلق يحتضنه في ظلمةٍ دافئة، أشبه ببذرةٍ داخل كرة نور غير مرئية. هناك، في ذلك المدار الأول، يتشكل الجسد وتبدأ الرحلة.

وعندما يخرج إلى العالم، لا يُترك خارج هذا الرمز. يوضع على بيْژنگ (المنخل الدائري) أربعين يوماً، كأن الجماعة تعيد تأكيد انتمائه إلى الشكل الكوني. يُمدُّ حوله حبل دائري، لا ليقيّده، بل ليحفظ مداره. الأربعون يوماً ليست مجرد زمنٍ احترازي، بل دورة انتقال من رحمٍ عضوي إلى رحمٍ اجتماعي. من دائرة الأم إلى دائرة القرية. ويمضي الإنسان في حياته بين دوائر: دوائر الرقص الجماعي، دوائر المواسم، دوائر الأعياد التي تتناغم مع الاعتدالات والانقلابات الشمسية. كل شيء يتحرك وفق مدار. حتى الزمن نفسه ليس خطاً مستقيماً، بل عودة مستمرة.

ثم تأتي لحظة الرحيل. وهنا تعود الدائرة إلى مركزها الأخير. في طقوس العزاء النسوية القديمة، حين كانت سبعة أيام كاملة، كانت نساء القرية يشكلن دائرة واسعة، يضعن في مركزها جنازة رمزية. يتحركن حولها بحركة إيقاعية بطيئة، أصوات النحيب ترتفع وتنخفض، وضربات الصدور تصنع إيقاعاً يشبه خفقان قلب جماعي واحد.

المركز يبدو ساكناً، لكن الحركة حوله مستمرة. وكأن الجنازة الرمزية في المنتصف تتحول إلى شمس، والنساء إلى كواكب تدور في مدارها. لا فوضى في هذا الحزن، بل نظام كوني. لا انهيار، بل انتظام.

من الرحم الدائري، إلى بيْزنگ الدائري (إلى الحبل الدائري) إلى دائرة الرقص، إلى دائرة العزاء. إنها سلسلة مدارات تؤكد أن الإنسان في الفهم الإيزيدي لا يعيش داخل خط زمني ينكسر بالموت، بل داخل فلكٍ يتبدل فيه المركز دون أن ينقطع الدوران.

وهنا يمكن قراءة هذه الرمزية في ضوء صحن سامراء الذي تناولته في فصل سابق؛ فالتقسيم الرباعي للصحن، وحركته الشعاعية من المركز إلى الأطراف، يعكس ذات الفلسفة: مركز ثابت، ومدارات تحيط به، وزمن يعود إلى نفسه عبر الفصول الأربعة (١٢/٢١، ٣/٢١، ٦/٢١، ٩/٢١). ما يحدث في الطقس الشعبي هو إعادة تمثيل حيّ لذلك التقويم الكوني القديم.

إنها الذاكرة الرافدينية التي لم تنقطع، بل تحولت من نقشٍ طيني إلى جسدٍ بشري يتحرك في ساحة عزاء. الدائرة لم تعد مرسومة على فخار، بل مرسومة بأجساد نساء القرية.

وهكذا يكتمل المدار:

يبدأ الإنسان نقطة في دائرة رحم، وينتهي شمساً في دائرة وداع، بينما تبقى الكواكب – أي الجماعة – تدور، شاهدةً على أن الوجود ليس خطاً ينتهي، بل دائرة لا تنكسر.

خلاصة رمزية: الإنسان مدارٌ كامل

إن قراءة الدائرة في الطقس الإيزيدي – من الرحم إلى بيّژنگ، ومن الحبل الواقي إلى دائرة العزاء – تكشف عن بنية رمزية متكاملة تؤكد أن الإنسان في الوعي الإيزيدي ليس كائناً خطياً، بل كائناً مدارياً. حياته لا تفهم بوصفها امتداداً مستقيماً ينقطع بالموت، بل كحركة داخل نظام دائري تتبدل فيه المراكز دون أن ينكسر الشكل.

الدائرة هنا ليست شكلاً زخرفياً ولا عادة اجتماعية عابرة، بل قانون وجودي عميق. الرحم دائرة، الحماية دائرة، الرقص دائرة، والعزاء دائرة. وحتى الجنازة الرمزية الموضوعة في المنتصف تتحول – في المخيال الطقسي – إلى شمس، بينما تتحرك الجماعة حولها كمدارات تحفظ التوازن.

ومن خلال هذا الترابط البنيوي بين الطقس الشعبي، والتقويم الفلكي، ورمزية صحن سامراء، تتضح استمرارية الذاكرة الرافدينية في الجسد الإيزيدي المعاصر. ما كان مرسوماً في الطين، صار متجسداً في الحركة. وما كان تقويماً فلكياً، أصبح إيقاعاً اجتماعياً.

ويُعدّ هذا التأويل الرمزي المتكامل للدائرة في الطقوس الإيزيدية – بوصفها بنية كونية تبدأ بالميلاد وتنتهي بالوداع ضمن الشكل نفسه – قراءة قدّمها الباحث علو خلف شرف ضمن مشروعه التوثيقي "الإيزيديون وذاكرة السومريين"، حيث يرى أن الدائرة ليست مجرد أثر ثقافي، بل بقايا نظام كوني رافديني ما زال حيّاً في الوجدان والطقس والممارسة اليومية.

عندما تحدثنا في هذا الكتاب عن الدائرة، فإننا لم نقصد شكلاً هندسياً مجرداً، بل نتحدث عن رمز قديم للحماية والانسجام في حياة الإنسان. فالدائرة في نظر الأسلاف لم تكن رسماً فقط، بل كانت تعبيراً عن حالة من الأمان الروحي والنفسي والمادي.

تأمل بداية حياة الإنسان: فالجنين يتكوّن داخل رحم دائري، يعيش في مدار من الحماية والرعاية داخل جسد الأم. وفي هذه الدائرة الأولى يتشكل وجوده، ويكتمل نموه حتى يحين وقت الولادة. وبعد أن يولد الطفل، تضعه الأم – في بعض التقاليد الإيزيدية – على منخل دائري (بێژنگ)، وكأن حياته تبدأ من جديد داخل دائرة أخرى من الحماية.

ثم تبدأ دائرة الأمان بالتوسع مع نمو الإنسان. في البداية تكون الدائرة هي الأم، ثم تكبر لتشمل العائلة: الأب، الإخوة، الجد والجدة. ومع مرور الزمن تتسع هذه الدائرة أكثر لتشمل الأقارب والجيران والمجتمع. وهكذا يعيش الإنسان داخل دوائر متتابعة من الانتماء والرعاية والانسجام.

ولهذا يمكن ملاحظة أن خروج الإنسان قسراً من مجتمعه أو من محيطه الاجتماعي – لأي سبب كان – يترك أثراً عميقاً في حياته. فالعائلة التي تجبر على مغادرة مجتمعها تشعر وكأنها خرجت من دائرتها التي كانت تمنحها الأمان الروحي والنفسي. ومع فقدان هذا

الانسجام قد تظهر لدى أفرادها حالات من التعب النفسي أو الجسدي، لأن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى تلك الدائرة التي تحيطه بالحب والتكافل.

وتظهر رمزية الدائرة أيضاً في بعض السلوكيات الثقافية. فعندما يشتد غضب الإنسان في بعض المجتمعات الإيزيدية قد يمزق الفتحة الدائرية لثوبه تعبيراً عن حالة الانفصال والغضب، وكأنه يعلن خروجه من دائرة الانسجام التي كان يعيش فيها. وفي المقابل، نلاحظ أن الإنسان الإيزيدي غالباً ما يحتفظ في لباسه بفتحة عنق دائرية أو خيط دائري، كرمز غير مباشر للدائرة التي تمثل الحماية والانتماء.

وإذا وسّعنا النظر أكثر في تاريخ الحضارات القديمة في وادي الرافدين، نجد أن فكرة الدائرة لم تكن غائبة عن وعي الشعوب القديمة. فقد كانت بعض المدن تحاط بأسوار دائرية، وكان ذلك يحمل معنى عملياً للحماية، ولكنه في الوقت نفسه يعكس فهماً رمزياً بأن الدائرة تمثل الحدّ الذي يحفظ الجماعة من الأخطار الخارجية.

من هنا يمكن القول إن الدائرة لم تكن مجرد شكل هندسي في ثقافات الأسلاف، بل كانت مفهومًا فلسفياً للحماية والانتماء والانسجام. وما يمارسه الإيزيديون اليوم من رموز وعادات مرتبطة

بالدائرة يمكن فهمه بوصفه استمراراً لذاكرة ثقافية عميقة تمتد جذورها إلى حضارات وادي الرافدين القديمة.

وفي داخل هذه الدوائر يكتسب الإنسان شيئاً أعمق من مجرد العيش المشترك؛ إنه يكتسب المحبة والانسجام الروحي مع من يعيشون معه. ففي البيت، وفي الجوار، وفي المدرسة، وفي الحقول والأعمال، تنشأ بين الإنسان ومن حوله علاقة روحية متينة. ومع مرور الزمن تصبح هذه الدائرة جزءاً من كيانه، حتى إن الإنسان قد يجد نفسه مستعداً للتضحية من أجلها ومن أجل من يعيشون داخلها.

فكل ما كانت الدائرة سليمة معافة مضيفة مزدهرة تعج بالخضار والحياة كلما كان سكانها سعداء أكثر وكلما كانت فاسدة ملوثة اخلاقها وتصرفاتها كلما مرض سكانها وفقدوا توازنهم الإنساني والحضاري .

ولهذا نلاحظ أن الإنسان عندما يبتعد عن دائرته الحقيقية – حتى لو كان الابتعاد لفترة قصيرة – يشعر بالحنين العميق إليها. يشتاق إلى هوائها، وإلى وجوه أهلها وابتساماتهم، وإلى الأماكن التي عاش فيها تفاصيل حياته. يشتاق إلى العمل بينهم، وإلى الطعام الذي كان يتقاسمه معهم، وإلى اللعب والحديث والعيش في ذلك الفضاء الذي شكّل عالمه الأول.

ورغم أن الإنسان قد يدخل في حياته دوائر كثيرة، إلا أن تلك الدائرة الأولى – دائرة البيت والمجتمع الذي نشأ فيه – تبقى الدائرة الأصدق والأعمق أثراً في روحه. فهي التي منحته شعور الانتماء الأول، وهي التي صنعت توازنه النفسي والروحي. ومن هنا يمكن فهم أن الدائرة في ثقافة الأسلاف لم تكن مجرد شكل هندسي، بل كانت مفهومًا فلسفياً للحماية والانتماء والمحبة. وما نراه في بعض العادات الإيزيدية من رموز مرتبطة بالدائرة، سواء في اللباس أو الطقوس أو في تنظيم الحياة الجماعية، يمكن فهمه بوصفه استمراراً لذاكرة ثقافية قديمة تمتد جذورها إلى حضارات وادي الرافدين. إن الدائرة في جوهرها ليست رسماً على الأرض، بل فضاء يعيش فيه الإنسان معنى الحماية والمحبة والانتماء وان كل ما كتب في هذا الكتاب إنما هي اشياء كانت ولازالت تعيش وتتحدث ضمن دائرة الكتاب

صورة ملتقطة من الجو قبل أكثر من ١٠٠ عام لبلدة قديمة مع سورها

خاتمة الفصل

الدائرة كهوية وجودية إن ما تقدّم في هذا الفصل لا يسعى إلى إثبات تشابه شكلي بين عادات متباعدة زمنياً، بل إلى الكشف عن بنية فكرية عميقة ظلّت تتحرك بصمت عبر القرون.

فالعجلة التي ظهرت في سومر لم تكن اختراعاً تقنياً معزولاً، بل تجسيداً أرضياً لقانون كوني يقوم على الدوران والمركز.

بيْژنگ التي يوضع عليها المولود الإيزيدي ليست أداة منزلية عابرة، بل استمرار رمزي لفلسفة ترى أن الحياة تبدأ داخل دائرة وتحتمي بدائرة وتعود في دائرة. من التقويم الشمسي إلى حلقات الرقص، من دوائر الحماية حول القرى إلى الحبل المرسوم حول الرضيع، من العجلة التي حملت الحضارات إلى الغربال الذي يحمل البركة الزراعية...

نحن أمام رؤية للوجود لا تؤمن بالخط المستقيم، بل بالتوازن العائد.

إن الدائرة في هذا السياق ليست شكلاً هندسياً، بل هوية إدراكية، ليست أثراً مادياً، بل نظاماً فكرياً متجذراً في الذاكرة الرافدينية.

ومن هنا يمكن القول إن الاستمرارية بين سومر والمجتمع الإيزيدي لا تقرأ في النقوش وحدها، ولا في النصوص فقط، بل في البنية العميقة للممارسة اليومية، في طريقة فهم الزمن، والحماية، والولادة، والدورة الزراعية، والاحتفال الموسمي. إنها استمرارية في

طريقة رؤية العالم. وبناءً على هذه القراءة، أقدّم هذه الفرضية بوصفها اجتهاداً بحثياً مفتوحاً للنقاش العلمي: إن الدائرة تمثل أحد أقدم المفاتيح المعرفية في حضارة وادي الرافدين، وقد تجسدت تقنياً في اختراع العجلة، واستمرت طقسياً وروحياً في الممارسات الإيزيدية المعاصرة، مما يشير إلى بقاء نمط إدراكي دائري ممتد في الذاكرة الثقافية لهذه الأرض. إنها ليست عودة إلى الماضي، بل اكتشاف أن الماضي لم يغادرنا.

الخاتمة الكبرى

لإنسان الذي لم يغادر شمسه

لم يكن هذا الكتاب بحثا في الماضي، ولا محاولة لترميم ذاكرةٍ متكسّرة، بل كان إصغاءً طويلًا لصوتٍ لم ينقطع، رغم كل ما فُرض عليه من صمت. صوت الإنسان الإيزيدي، الذي لم يخرج من عالمه، بل خرج العالم كلّه مرارًا من حوله، وبقي هو واقفًا في مركز الذاكرة، ممسكًا بخيط الشمس، غير قابلٍ للذوبان.

لقد كُتبت هذه الصفحات لا لتثبت أن الإيزيديين سومريين بشكل مباشر، ولا لتدّعي بأنهم وحدهم من ينتمون للماضي حضاريًا، بل لتقول ما هو أعمق: أن الذاكرة التي لا تنقطع لا تحتاج إلى نسب وأنهم امتداد لتلك الشعوب القديمة بلا مبالغة وبعيدا عن العاطفة.

وأن الروح التي تعرف زمنها لا تهزم.

من الطين الأول، حيث تعلّم الإنسان أن يترك أثره، إلى النار التي لم تطفأ في لالش، ظل الإيزيدي يفهم الوجود بوصفه عهدًا أخلاقيًا مع الكون. لم يعبد الحجر، بل قرأ فيه الزمن. لم يقدّس الشمس كجسم، بل كقانون. ولم يؤدِّ الطقس خوفًا، بل حفاظًا على توازنٍ دقيق بينه وبين العالم.

كل ما بدا للآخرين أسطورة، كان عنده معرفة مسبقة.وكل ما وُصف بالبدائية، كان في جوهره فلسفة كونية صامتة. حين بُنيت القباب، لم تبنَ لتحدّي السماء، بل لتذكير الإنسان بأنه منها. وحين أُشعلت النار، لم تكن للحرق، بل للشهادة. وحين دارت الأعياد مع الفصول، لم يكن ذلك تكرارًا، بل إعادة خلق للزمن. لقد حاول التاريخ، مرارًا، أن يكسر هذه الدائرة. بالسيف، بالنفي، بالإبادة، وبالإنكار. لكن ما لم يفهمه الغزاة أن من يعيش داخل الزمن الدائري لا يُباد، لأنه لا يقف في نقطة يمكن محوها، بل يعود... دائمًا يعود. الإيزيدي لم يكتب تاريخه في سطور فقط، بل في التحية، في الصمت قبل الدعاء، في احترام الانتظار، في معرفة متى يُشعل النار، ومتى يُطفئ الكلام. وهنا، لا يعود السؤال: كيف بقي الإيزيديون؟ بل: كيف بقي العالم دون أن يتعلّم منهم؟ هذا الكتاب لا يدّعي امتلاك الحقيقة الكاملة والمطلقة، لكنه يضع حجرًا في طريق النسيان، ويقول بهدوءٍ صارم: إن ما بقي حيًّا آلاف السنين في الجسد والطقس واللغة، ليس بقايا ماضٍ، بل نواة مستقبل لم يُفهم بعد. إن روح الإيزيدي النقيّة لم تنفصل يومًا عن عالمها، بل العالم هو من حاول أن يجرّها إلى خارجه، إلى خطّ مستقيم بلا معنى، إلى زمنٍ بلا شمس، إلى حضارةٍ بلا ذاكرة. أما هو، فبقي. واقفًا بين الطين والنار، بين السماء والأرض، بين الكلمة والصمت، يحمل ساعته

الكونية، ويمشي... لا إلى الأمام ولا إلى الخلف، بل في العمق. وهنا تنتهي الصفحات، لكن الدائرة لا تنتهي. لأن ما كُتب ليس كتابًا فقط، بل شهادة زمن وشاهدها... الإنسان الذي لم يغادر شمسه.

الشاهد علو خلف الشرف

الكاتب: علو خلف الشرف

عهد النور... رجاء ووصيه

إلى عشتار... وإلى شعبي الإيزيدي... يا سيدة الضوء الأول، لم تكن هذه الصفحات بحثا عن أطلال، ولا حنينًا عابرًا إلى زمنٍ مضى، بل

كانت رحلةً لاكتشاف الروح التي لم تمت. كتبنا عن الطين لأننا وجدنا فيه الذاكرة. وكتبنا عن النار لأننا رأينا فيها سرّ التحوّل. وكتبنا عن القباب لأنها ليست حجارةً مرتفعة، بل شمسًا متجمدة في هيئة بناء. وكتبنا عن الأعياد لأنها ليست تواريخ، بل انسجامٌ عميق مع نبض الكون. بحثنا عنكِ في المدن الأولى، في الممرات التي مشت فيها الأقدام المؤمنة، في الساحات التي ارتفعت فيها الأناشيد، فاكتشفنا أنكِ لم تكوني زمنًا منتهيًا...بل معنىً مستمرًا. يا عشتار، تساءلتُ طويلًا: هل يمكن لـ «كراس گـوهرين» أن يعيد الأرواح إلى الحياة؟ واليوم أدرك أن الأرواح لا تستعاد، لأنها لم تغادر أصلًا.

هي باقية في السلوك،

في الرحمة،

في الكرامة،

في اختيار الخير حين تتعدد طرق السهولة.

الكراس ليس ثوبًا يُعلّق في الذاكرة، بل عهدًا يُرتدى في الحياة.

هو صفاء النية، ونقاء المقصد، والثبات على الضوء. وها أنا ألتفت الآن... إلى شعبي الإيزيدي، يا أبناء الشمس الصامتة، يا من حملتم النار دون أن تحرقكم، وتمسكتم بالبياض في زمنٍ يتكاثر فيه السواد،

أوصيكم... أن تحافظوا على الجوهر قبل المظهر. على الأخلاق قبل الطقوس. على المعنى قبل الشعارات. اجعلوا الأبيض موقفًا لا مجرد لون. واجعلوا النار عهدًا لا عادة. واجعلوا العيد انسجامًا مع دورة الحياة، لا احتفالًا شكليًا عابرًا. تذكروا أن الزمن دائرة، وأن من يفهم الدائرة لا يخاف الانكسار، لأنه يعرف أن كل هبوط يعقبه صعود. تذكروا أن الطين حين يمرّ بالنار يشتدّ، وكذلك الشعوب. وأن البناء الحقيقي ليس في الجدران، بل في الإنسان. لا تنخدعوا بضجيج العالم. فالعالم قد يعلو صوته، لكن الحقيقة لا تحتاج إلى صراخ. كونوا أنتم الهدوء. كونوا الامتداد. كونوا الجسر بين الماضي والآتي.

يا شيشم إن كان في هذا الكتاب ضوء، فهو من نورك. وإن كان فيه عهد، فهو عهدٌ بأن نبقى أمناء للمعنى. ويا شعبي، لسنا بقايا حضارة، بل استمرارها. لسنا ظلّ شمسٍ غابت، بل امتداد نورها. فإن سقطت المدن، فليبقَ الإنسان. وإن تهدمت المعابد، فليبقَ السلوك معبدًا حيًا. وإن أظلم الطريق، فلتدلّنا الشمس. هذا هو العهد. وهذه هي الوصية. وهذا هو النور الذي لا ينطفئ.

الفهرس

المقدمة: ---------- ٥

إهداء ---------- ٧

عن هذا الكتاب ---------- ٨

الفصل الأول:الإنسان، الذاكرة، وبداية الحكاية ---------- ١١

الفصل الثاني: من الذرّة الأولى إلى الملاك الباذر ---------- ١٩

الفصل الثالث: الزمن الدائري ---------- ٢٣

الفصل الرابع: الطقس والرمز ---------- ٢٧

الفصل الخامس: الأرض والعناصر الأربعة ---------- ٣١

الفصل السادس: الخبز والنار ---------- ٣٧

الفصل السابع: حين تكلّم الصوت قبل الكلمة ---------- ٤١

الفصل الثامن: اللغة المشتركة ذاكرة الصوت بين سومر والإيزيدية ------ ٤٧

الفصل التاسع: القُبّة هندسة السماء على الأرض ---------- ٥١

الفصل العاشر: الطواف والاتجاهات الأربعة ---------- ٥٩

الفصل الحادي عاشر: الجهات الأربعة والفصول ---------- ٦٧

الفصل الثاني عشر: الأعداد المقدّسة ---------- ٧١

الفصل الثالث عشر: الشمس مركز النظام الكوني ---------- ٧٥

الفصل الرابع عشر: الزمن والدورة الكبرى ---------- ٨٣

الفصل الخامس عشر:الطقس بوصفه ذاكرة حيّة ---------- ٨٧

الفصل السادس عشر: صحن سامراء التقويم الطيني للدورة الكونية ---- ٩١

الفصل السابع عشر: الذاكرة التي لم تنكسر ---------- ٩٧

الفصل الثامن عشر: القوّالون وكأس الفوّار---------- ١٠١
الفصل التاسع عشر: الملك جوديا (كوديا / خوديا) ---------- ١٠٧
الفصل العشرين :الجوهر والمعنى من لكش إلى لالش في القياسات السماوية --- ١١١
الفصل الحادي والعشرون :التقويم الشمسي العالمي---------- ١٢١
الفصل الثاني والعشرون: الباراسايكولوجيا في وادي الرافدين ---------- ١٢٧
الفصل الثالث والعشرون: هندسة الروح رمزية البناء في لالش--------- ١٣٣
الفصل الرابع والعشرون :عيد خدر إلياس ---------- ١٧٥
الفصل الخامس والعشرون: الختم الشمسي بين سومر ولالش --------- ١٨٣
الفصل السادس والعشرون: كل كاميش ---------- ١٨٨
الفصل السابع والعشرون: چارشەما سەرێ سالێ ---------- ١٩٢
الفصل الثامن والعشرون: أسماء الإيزيديين والسومريين---------- ٢٠٤
الفصل التاسع والعشرون: المخلص في الثقافات من ديموزي إلى المهدي شرف الدين --- ٢١٠
الفصل الثلاثون: الخودانات ---------- ٢١٥
الفصل الحادي والثلاثون: من شوي الطين إلى تشويه المعنى ---------- ٢٢٠
الفصل الثاني والثلاثون: الزمن المقدّس---------- ٢٢٤
الفصل الثالث والثلاثون التخمّر ---------- ٢٢٨
الفصل الرابع والثلاثون: اللعب المقدّس ---------- ٢٣٢
الفصل الخامس والثلاثون: (چلەگر، ÇILEGIR) السبعة: --------- ٢٣٦
الفصل السادس والثلاثون: طقس الاستسقاء ---------- ٢٤٠
الفصل السابع والثلاثون: الأبيض والحكمة الإيزيدية بين النور والجسد ----- ٢٤٤
الفصل الثامن والثلاثون: الزمن الذي يبدّل ثوبه ---------- ٢٤٨

الفصل التاسع والثلاثون السيادة على الزمن ---------- ٢٥٢
الفصل الأربعون دائرة النبض ----------٢٥٥
الخاتمة الكبرى----------٢٧١